الجزء ٦ المجلد ٩



(دمشق) حزيران : سنة ١٩٢٩ م الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٧ والمحرم ١٣٤٨ هـ

الانشاء الخطابي

للكتابة إنشاء خاص وللتكلم انشاء آخر ، ومن يجيد الواحد قد لا يجيد الثاني ، بل ربما كان تناقض بين الاثنين ، فان السواد الاعظم من مشاهير الكتاب لم يكونوا خطباء وبخلاف ذلك قلما تجد بين الخطباء من لا يعد كاتباً .

واذا كان الكاتب غير الخطيب فليس ذلك فقط لانه لا يعرف ان يتكلم كما يعرف ان يكتب ، بل ايضاً لان كتابته لا توافق المنبر ، فان المكتوب يُنال بالنظر ويُذاق بالفكر ، واما المقول فلا يصل الى القلب الا اذا مر بالاذن ، وللأذن إحساس يجب ارضاؤه ، ونعومة يحاذر من تخديشها ، والشعور الذي يثيره السمع ليس كالذي تولده القراءة فضلاً عن ذلك فان عقلية الجمهور المحتشد في مكان عمومي تختلف عن عقلية الفرد المعتزل في غرفته .

إذن للسمع إنشاء كما للقراءة إنشاء ، فما هي اصول هذا الانشاء وقواعده ؟

قال ابن المعتز والشيباني : إن البلاغة بثلاثة امور : (١) ان تغوص لحظة القلب في اعماق الفكر وتتأمل بوجوه العواقب وتجمع بين ماغاب وحضر . (٢) ثم يعود القلب على ماعمل به الفكر فيحكم سياق الأدلة ويحسن تنضيدها . (٣) ثم يبديه بالفاظ رشيقة مع تزيين معارضها واستكمال محاسنها .

هذه الأركان الثلاثة التي تقوم عليها البلاغة هي ما يسميه الافرنج في تقسيمهم بالاختراع او الايجاد والتنسيق والتعبير .

فالاختراع اوالايجاد : هو استنباط الوسائل الخليقة باقناع السامع وتحريك عواطفه

وهذه الوسائل يقال لها الأدلة . وتسهيلاً لاستخراجها وضع الأقدمون من اليونان جدولاً لما يمكن استعماله منها ، وأطلق عليه العرب اسم مواضع . قال ابن سينا : ان الحجج في الجدل والخطابة تكتسب من المواضع ، فمن طلب الاقناع وهو لا يعلمها كان كحاطب ليل يسعى على غير هداية لا لبخل في الموضوع بل لنقص في الاستعداد .

والتنسيق : هو تنظيم الخطبة وربط أجزائها بعضها ببعض وترتيبها ترتيباً جميلاً .

والتعبير : هو افراغ المعنى في القالب الموافق والباسه الحلة اللائقة به .

ولكن هذا التقسيم يشمل الكاتب والخطيب معاً فكلاهما يحتاج في البلاغة الى الاعتماد على هذه الأركان الثلاثة ولا يبدأ الفرق بين الاثنين الا عند الركن الثالث ذلك لان الخطاب لم يعمل ليقرأ بل ليسمع فيجب ان يتبع التعبير فيه الذوق ومايدعو اليه المقام من تقصير الجمل او تطويلها ، والتكرار تارة والتسجيع طوراً ، وانتقاء الألفاظ الموسيقية الخفيفة على السمع المؤثرة فيه ، والتحليق في سماء الخيال حيناً ، والنزوع الى النكتة حيناً آخر مع تطبيق ذلك على مايضاف اليه مما يكمله كالاشارة والملامح والنظرات ونبرات الصوت وسائر مايمكن الانسان الحي ان يعطيه من الحياة الى هذا الشيء الحي الذي يقال له خطاب .

وها نحن اولاء نبحث فيما يلي عما يتعلق بهذا التعبير ويجعل للانشاء الخطابي مسحة خاصة به مفردين فصلاً آخر لما نسميه مكملات الخطيب او مزايا المنبر .

— ١ —

ان الكلمات التي تتألف منها الجمل هي كحجارة الفسيفساء لها لونها الخاص وشكلها المحدود ولكنها تمثل صوراً مختلفة حسب تركيبها وتداخلها بعضاً في بعض فكما انك قد تجعل من قطع الفسيفساء صورة تدل على الحسن او القباحة واللذة اوالالم وغير ذلك من الاضداد تبعاً للطريقة التي تؤلف بها بينها كذلك تستطيع حسب اختيار الألفاظ وتركيبها ان تمثل هذه العاطفة او تلك تمثيلاً كاملاً او ناقصاً ولا يتم لك الاتقان والإجادة الا اذا وقع اختيارك في موقعه وكان لك اللفظ الموافق والتعبير الصادق .

من الألفاظ ماهو فخم كأنه يجر ذيول الارجوان أنفة وكبرا .

ومنها ماهو ذو قعقعة كالجنود الزاحفة في الصفيح .

ومنها ما هو كالسيف ذي الحدين .

ومنها ما هو كالنقاب الصفيق يلقيه الشعر على بعض العواطف ليستر من حدتها ويخفف من شدتها .

ومنها ما له وميض البرق .

ومنها ما له ابتسامة السماء في ليالي الشتاء .

من الكلام ما يفعل كالمقرعة وهو كلام الانتقاد والتنديد . ومنه ما يجري كالنبع الصافي وهو المعد للرضى والغفران .

ومنه ما يضيء كالشهب وهو كلام التعظيم .

كذلك من الكلمات ما ليس له طابع خاص وانما يؤتى به لتقوية الجملة ودعم المعنى فهو يوافق كل حال .

تلك هي الادوات المعدة لبناء الخطبة تتطلب مهندساً بارعاً ومصوراً حاذقاً ليؤلف بينها تأليفاً موافقاً ويخلع عليها برداً جميل النسج لامع الديباجة يترجم معنى العظمة او الجمال او اللطف او القوة كما في قطع الفسيفساء .

ان البلاغة لا تقتصر على افهام السامع كلام القائل والا « لتساوت الفصاحة واللكنة والملحون والمعرب » وانما المقصود الافهام على سنة كلام البلغاء بان يُجعل لكل طبقة كلام ولكل حال مقام فيخلع الخطيب من الفاظه على معانيه حلة نور وضياء ليتسنى للسامعين ان يشاركوه في تلك الرؤيا الجميلة التي تتجلى في خاطره وبين تصوراته ، ولا يكون الخطيب فيما يقول كالرجل الذي يكثر من الاشارات في الظلمة ثم هو يتعجب كيف لا يراه الناس .

— ٢ —

ان الاساس الذي بني عليه الانشاء الخطابي هو العاطفة والشعور لان الغاية الاولى من الخطاب هي ان تنقل ما في قلبك من الاحساسات الى قلوب سامعيك . قال « دلامبر » ان الذي يكتفي بالاقناع دون التأثير هو متكلم لا بليغ وقال « رفالور » إن العواطف والاهواء هي الخطيب في الجماهير . وقال « ميرابو » السر كل السر في البلاغة الخطابية ان يكون الانسان ملتهباً بالعواطف . قال الحسين وسمع متكلماً يعظ فلم تقع موعظته من قلبه بموضع « يا هذا ان بقلبك لشراً او بقلبي » يريد ان الكلام الخالي من العاطفة

قد يكون مفعماً بالحقائق ولا يجد مع ذلك سبيلاً الى النفس ·

وبما ان الشعور هو اساس الخطبة كانت البساطة أجمل حلة يلبسها الانشاء الخطابي ولا أعني بذلك ان يكون الكلام مبتذلاً عامياً بل ان يوافق الزمان والمكان فللمعاني العظيمة كلام عظيم كما بينا · ولا يستلزم كون الجمهور من العوام ان ينزل الخطيب باساليب التعبير عن مقامها بل عليه ان يرفع العامة نحوه لان الفن فن اينما كان ·

— ٣ —

ويأتي بعد العاطفة الخيال لان الخطيب شاعر ان حققت ، الا ترى ان سرعة البداهة وحدة التصور وجيشان الخاطر وكل ما يمتاز به الشعراء موجود عند الخطباء فكأن القوة العقلية الواحدة باختلاف وجهتها وتباين مذاهبها قد انتجت عند بعض النوابغ تارة بلاغة القلم وطوراً بلاغة اللسان ·

لا ريب ان اللورد (بيرون) الشاعر الانكليزي المشهور عندما كان يجول بجواده فوق شواطئ الليدو وهو ينشد في الفضاء أشعاره السامية الغريبة ويلقي من حوله على الكائنات نظر السيد المعتز بمحتده ، المباهي بشبابه ، المفاخر بجمال طلعته ولمعان نبوغه وما اعطاه الله من واسع السلطان في مملكة الهوى ، مخضعاً لدى قدميه الفلاحة الحائرة والسيدة المتدللة ، منتصراً على مطامع الرذيلة ومخاوف الفضيلة ، لا ريب ان ذلك الامير لم يكن حينذاك شاعراً فقط بل كانت عواطفه الثائرة تتدفق من فؤاد خطيب فيلبسها حلة من شعره الجميل ولكن بعد ان تُسكب في قالب خطابي بما فيها من غزارة وخيال وتصور خلاب ·

واذا نظرت فيما كتب هيكو اونظم مثل (كرمويل) و(الرجل الضاحك) و(القصاص) تبين لك انه لم يكن يتخذ غير لغة الخطابة كأنما هو يتمرن على الدور السيامي الذي كان مخبأ له في طيات الزمان ·

كذلك لامارتين فقد حرك اوتار قيثارته على منبر السياسة فأفلح خطيباً كما أفلح شاعراً ·

وكما كان بيرون الشاعر خطيباً كان جوريس الخطيب شاعراً وقد روى مؤرخوه انه وهو ابن عشرين كان يتمشى كالملهم على شواطئ الكارون مردداً في الفضاء نثره

الجميل . وله صفحات شعرية خالصة في كتابه « حقيقة العالم المحسوس » كأنه وهو تحت وميض الالهام وبين عوالم الاحلام يسائل الوجود من كل نواحيه و ينحني على صدر الارض واضعاً أذنيه مصغياً اليها كمن يجس او يبحث عن نبض العالم .

على ان هذا الخيال وما اليه من حدة التصور وغليان الخاطر ليس ضروريا لكل خطيب فكما ان من المصورين من لم يكن مثل ليونارد دهفنسي فمن الخطباء من لا يعرف التحليق في سماء الخيال وهو يستطيع بكلمة او صورة او صوت ان يحرك العواطف و يثير الأشجان . هكذا كان (والدك روسو) احد زعماء السياسة الفرنسوية في العصر الغابر القائل في احدى خطبه هذه الجملة المشهورة « يجب على المالك ان يعمل وعلى العامل ان يمتلك » .

وفي العرب كثير من الخطباء الشعراء او الشعراء الخطباء وقد افردنا لهم فصلاً خاصاً .

ومن الأمثلة الجميلة على الانشاء الخطابي الشعري هذه الفقرة التي نقتطفها من خطبة لجوريس :

« رأيت أحياناً في طريق الجبل بعض الفلاحات العجائز عائدات من الغابة حاملات فوق ظهورهن أحمالاً من الاغصان الخضراء . فكانت الريح عند مرورها بتلك الاغصان المورقة توقظ من حول الفلاحة العجوز حفيف الأحراج الواسعة ولكن العجوز لم تكن تسمع هذا الحفيف بل كانت تمشي بخطاها المتثاقلة دون ان تعي نشيد الأحلام الذي كانت تسره في أذنيها قطعة الغاب المحمولة على ظهرها » .

« أجل هكذا هو العامل المسكين يمشي محاطاً بنسمات الطبيعة دون ان يسمعها . كيف تريدون منه بعد جهده الطويل من طلوع الشمس الى غيابها ، عندما يشعر ان عمله المضني ليس عملاً حراً وانه قد يجرد منه في الغد لغير ما سبب ، عندما يجد نفسه مقيداً بادواته التي تضنيه وربما فارقها في غده مكرهاً ، كيف تريدون منه وهو على هذه الحال من التعب والاستعباد يساوره الوجل والاشفاق ان لا يتاح له في غده ما يطعمه و يطعم ذويه ، كيف تريدون منه ان يرتفع فكره بالحلم فوق ضجيج المصانع الذي يصم الاذان ليقول في نفسه ان هذا الضجيج الخارج من الادوات العاملة هو جزء من الموسيقى الكونية . . »

هذا الشيئ سيعرفه في غد عندما نعطيه الحرية .

ومثل ذلك هذه الفقرة الثانية من خطاب لهيكو في مجلس الأشراف عندما طلب جيروم نابوليون السماح له بالعودة الى فرنسا .

ايها السادة : لاحاجة لان اقول لكم انغايتي ليست اثارة الشجون اوالاحقاد ولكني أشعر لدى صعودي هذا المنبر انيأؤدي واجباً علي . ان الذي يدفع هذاالعاجز الى نصرة جيروم نابوليون وهو في منفاه ليس فقط عقائد نفسي بل كل تذكارات صباي . فكأن في هذا الواجب شيأً من الوراثة ويخال لي ان ابي ذلك الجندي القديم للملكية هو الذي يأمرني ان أقف وأتكلم . ولهذا أخاطبكم ياسادة كمن يؤدي واجباً على انني كما ترون لا أوجه كلامي الا الى اشرف واطهر وارصن ما في ضمائركم . من اجل هذا اريد ان أقول لكم في الختام كل رأيي في ظلم هذا القانون الفادح الذي اسأ لكم الغاءه .

ايها السادة : هذه المادة من القانون الفرنسوي التي تنفي الى الابد أسرة نابوليون من الارض الفرنسوية تبعث في نفسي شيأً لا أعرف له نظيراً ولا استطيع عنه تعبيراً . وتسهيلا لفهم ما اريد ان اقول سأفرض فرضاً مستحيلاً : لاريب ان تاريخ الخمس عشرة الاولى من هذا القرن ، هذا التاريخ الذي كتبتموه انتم ايها الابطال والقواد المحترمون الذين أحني رأسي أمامهم والذين يصغون الي في هذا النادي ، هذا التاريخ لا يزال له دويّ في أذن العالم قاطبةً وربما لاتجدون في أقصى المعمور رجلاً لم يسمع به فقدوجدوا في الصين في معابد الآلهة تمثال نابوليون . اجل اني افترض — وهذا هو الافتراض المستحيل ولكنكم تسمحون به — افترض ان في زاوية من هذا الكون الواسع رجلاً لم يعرف شيأً عن هذا التاريخ ولم يسمع ابداً اسم الامبراطور . وافترض انهذا الرجل جاء فرنسا وقرأ هذه المادة التي تقول : « ان أسرة نابوليون منفية الى الابد من ارض فرنسا » افتدرون ماذا يجول فيخاطر هذا الغريب ؟ انه أمام هذا العقاب الهائل ليتساءل من تُرى يكون نابوليون هذا ! ويقول في نفسه انه لاريب كان مجرماً عظيماً وانه من المؤكد ان عاراً لايمحى لاصق باسمه ومن يدري فلعله قد انكر آلهته وباع أمته وخان وطنه الى آخر ماهنالك . ان هذا الغريب ليتساءل بشيئ من الجزع ماهي الآثام الفظيعة التي استحق من اجلها نابوليون هذا ان يُعاقب هكذا في سلالته الى الأبد .

ايهـا السادة هذه الآثام سأعددها لكم : هي الدين مرفوع الرايات ، هي القانون المدني محكم الآيات ، هي فرنسا متسعة النطاق الى ابعد من حدودها الطبيعية ، هي يانا ، مارنكو ، واكرام ، استرلتز هي اغلى وابهى مهر من القدرة والمجد يستطيع رجل عظيم ان يقدمه الى أمة عظيمة .

ايها السادة ان شقيق هذا الرجل العظيم يستعطفكم في هذه الساعة ، هو شيخ عاجز ، هو ملك قديم يسترحمكم اليوم ، أعيدوا له ارض الوطن . ان جيروم نابوليون لم يكن له في الشطر الاول من حياته الا رغبة واحدة ، ان يموت في سبيل فرنسا . ولم يكن له في الشطر الثاني من حياته الا فكرة واحدة ، ان يموت في ارض فرنسا . فلن تخيبوا هذا الرجاء .

— ٤ —

اما الاكثار من الأدلة والحجج والاغراق في الشرح والتفصيل ، والاسهاب في البيان والتعليل ، فذلك جائز في نثر الكاتب لان للقارئ متسعاً من الوقت للتأمل والتبحر بخلاف السامع الذي يتلقى الجملة بعد الجملة ولا قبل له بالمراجعة او التوقف ، بل تراه مضطراً الى اتباع الخطيب والتقاط أقواله المتدفقة على سمعه ولهذا كان من اللازم ان تأتي هذه الأقوال واضحة صريحة مختصرة تفعل بالجزم والتأكيد اكثر مما تفعل بالتعليل والبرهان .

ان القارئ حرٌّ في متابعة قراءته او التوقف للاستراحة او التأمل ، واما السامع فهو معلق بشفتي الخطيب محمول معه في كل ناحية لا يستطيع الوقوف او الاعراض دون ان تنقطع عرى الالفة بينهما فيذهب من الخطاب رونقه او بعض رونقه وتفوت السامع فائدته او جزء من فائدته .

وبقدر ما يقتصد الخطيب على السامع في الفاظه وجمله يوفر من انتباهه ليستطيع إدراك معانيه والتأثر بها لان اللغة كما لا يخفى هي في آن واحد آلة للنقل وعائق دونه .

فالانشاء الخطابي يختلف كثيراً عن انشاء الكاتب لاضطرار الخطيب ان يتبع فيه احوال نفسه والمكان الذي يتكلم فيه والجمهور الذي يصغي اليه فتكون « اللفظة في وزن الاشارة والمعنى في طيقة اللفظة » فيفصل بين الجمل و يكرر بعض الكلمات او يكثر من

بعض النعوت مسهباً هنا موجزاً هناك متمهلاً في بعض المواضع مسرعاً في غيرها ، واقفاً حين يرى ضرورة الوقوف ليترك للسامع مجالاً يستوعب فيه ما اراد ان يلقيه اليه او يقصر انتباهه عليه .

ومهما يكن من اهمية الموضوع والاجادة في انتقاء الالفاظ وتخير المعاني فلا ينفع ذلك في محاربة ما يجلبه اسهابه او الضرب على وتيرة واحدة من العواقب التي لا تحمد . الا ترى ان إطالة النظر الى الغدير الجاري والاستمرار على سماع خريره العذب يفضيان بنا الى النعاس ؟ بل ان هدير الأمواج المتصاخبة ، وزئير الرياح العاصفة ، ولعلعة الرعود على ما فيها من تهيج الاعصاب تنتهي بنا الى النتيجة عينها اذا طال امرها وتعودت عليه الاذن وألفه الخاطر . فلا تكونن بلاغة الخطيب حجة له في إطالة الشرح والتمادي في الاسهاب .

ان العبرة كل العبرة هي ان يحمل الخطيب عقول سامعيه في سيل من العبارات الجميلة الموسيقية فيهز تلك العقول هز الطفل في السرير ويملك عليها جهد التفكير و يخدر فيها حاسة النقد و يحملها في شبه غيبوبة من سكر الفصاحة ، ثم تأتي كلة هي الكلمة الفاصلة المنتظرة مدعومة احياناً بنبرة في الصوت او ضربة على المنبر فتوقظ تلك النفوس وقد عرفتها وفهمتها وحيتها بابتهاج .

واللغة العربية قابلة للانشاء الخطابي اكثر من سواها لوفرة غناها بالالفاظ والتشابيه والاستعارات وما فيها من جزالة لفظ وفخامة تركيب ورنة تسجيع وغيرذلك فاذا ساعدها الاسلوب والخيال كانت على لسان البليغ خمراً تدب في الرؤوس وسحراً يسطو على النفوس .

وربما نزل الانشاء الخطابي احياناً عن نثر الكاتب في دقة المعنى وإحكام المبنى الا ان في فصاحة اللهجة وجمال اللفظ وجهارة الصوت وما الى ذلك ما يستر هذا العيب فيخرج السامع مأخوذاً بما سمع وان لم يحفظ منه شيأ قانعاً بما احس من التأثير راضياً بما حصل عليه من اللذة .

الدكتور فياض

الاندلس

« عبرة وذكرى »

— ٢ —

(٣) — الحكم الأموي :

يقسم الحكم الأموي في الاندلس الى ثلاثة عهود : الولاية — الامارة — الخلافة ·

الولاية الأموية : بدأت بالفتح سنة ٩٢ — ٩٣ وانتهت بامارة عبدالرحمن الداخل سنة ١٣٨ · واول والٍ عليها عبدالعزيز ، وليها لابيه موسى بن نصير على ماتقدم ذكره ، فثار به العسكر وقتلوه لسنتين من ولايته ·

وتتابعت ولاة الأمويين عليها تارة من قبل الخليفة بدمشق ، وطوراً من قبل عامله على القيروان · وكأن مقتل الوالي الاول فتح باب اللدد على مصراعيه ، فظلت هذه الولاية ومدتها ست واربعون سنة وبضعة ايام ، مضطرباً للنزاع والصدام ، فلّ ان استقام فيها لوالٍ امر ، اوطال له حكم ، حتى نيف عدد الولاة في هذه الفترة من الزمن على بضعة وعشرين والياً [1] ·

---

(١) وهذه اسماؤهم مع اختلاف يسير في ترتيبهم :

	من سنة	الى سنة	مدة ولايته
عبد العزيز بن موسى	٩٥	٩٧	سنتان
ايوب بن حبيب اللخمي	٩٧		سنة اشهر
الحر بن عبد الرحمن بن عثمان		١٠٠	سنتان وثمانية اشهر
السمح بن مالك الخولاني	١٠٠	١٠٢	
الغمر بن عبدالرحمن بن عبدالله ؟			من قبل اهلها
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي			
عنبسة بن سحيم	١٠٣	١٠٧	اربع سنين واربعة اشهر (من قبل يزيد ابن ابي مسلم عامل إفريقية)
عذرة بن عبد الله الفهري			

والسبب في ذلك مطامع الرؤساء ، وتضارب الاهواء ، ونزعة العرب الى العصبية الجاهلية الاولى . فقامت القيسية واليمنية تتنازعان السلطان — والقيسية واليمنية حزبان كان لهما في تاريخنا الى اجل غير بعيد شأن خطير .

كان عامل الاندلس منقطعاً به في اقصى ثغور المسلمين ، بعيداً عن قلب الدولة ومادتها ، فكان لا بد له من عصبة تؤيده في ولايته ، وتحتفظ له بها ، ولا تكون هذه العصبة مخلصة ثابتة ، الا اذا كانت منه ، وكان منها في عصبية واحدة . ففزع كل والٍ من ولاة هـذا العهد الى عصبية ، القيسي الى المضرية ، واليماني الى اليمنية . والعصبية

	من سنة	الى سنة	مدة ولايته
يحيى بن سلمة الكلبي	١٠٧	١١٠	سنتان وستة اشهر (من قبل بشر بن صفوان الكلبي عامل افريقية)
عثمان بن ابي نسعة الخثعمي اللخمي	١١٠	١١٠	خمسة اشهر (من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية)
حذيفة بن الاخوص القيسي	١١٠	١١١	سنة (من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية)
الهيثم بن عبيد الكلابي	١١١	١١٣	سنتان (من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية)
محمد بن عبد الله الأشجعي	١١٣	١١٣	شهران
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي	١١٣	١١٤	سنة وثمانية اشهر (من قبل عبيد الله ابن الحجاب صاحب افريقية)
عبد الملك بن قطن الفهري	١١٤	١١٦	سنتان (من قبل عبيدالله بن الحجاب صاحب افريقية)
عقبة بن الحجاج السلولي	١١٦	١٢١	خمس سنين (من قبل عبد الله بن الحجاب صاحب افريقية)
عبد الملك بن قطن الفهري	١٢١	١٢٤	(من قبل نفسه ثائراً)

تقتضي الرجل ان ينصر اخاه ظالماً او مظلوماً ، فخرج الوالي عن ان يكون حاكماً عاماً ، وأصبح زعيم عصبية ، يتعصب لذويه ، ويتحامل على اعدائهم . فكان من جراء ذلك ان انشقت الجماعة ، وهاجت الأحقاد ، وتقدمت الناس باحزابها ، لا على أقدارها .

ومن طبيعة السياسة الحزبية ان تشتد معها العداوة ، وتستحكم البغضاء ، وان يتربص كل فريق بصاحبه لوثبة يهتبلها منه ، فيُدال له عليه ، القيسي من اليمني ، واليمني من القيسي ، وكان الامر بينهما دواليك . وهُزل الامر حتى بلغ ان لا يكون للوالي حكم نافذ الا على قومه ، الوالي القيسي يطيعه القيسيون ، وينحاز عنه اليمانيون ، واليماني يخضع له اليمنيون ، و يعصيه القيسيون . وزاد هذا الخلاف التياث أمر أمية بالمشرق ، وتضعضع أحوالهم ، فشغلوا عن قاصية الثغور ، بكثرة الخوارج . فبقي اهل الاندلس فوضى : فتن دائمة ، وولاية متداولة ، وحال لا تستقر من القلق . واتفق جند الاندلس آخر الامر ان يجعلوا الولاية في القيسية واليمانية مداولة بين الجندين ، سنة لكل دولة . فقدم المضرية على انفسهم سنة ١٢٩ يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، فاستتم ولايته بقرطبة . ثم وافته اليمانية لميعاد ادالتهم ، واثقين بمكان عهدهم وتراضيهم واتفاقهم ، فبيتهم يوسف في قرى قرطبة بمالأة القيسية وسائر المضرية فاستلحموهم ، وتمت الغلبة للقيسية في معظم انحاء الجزيرة ، الى ان كان من امر عبد الرحمن ما نحن ذاكروه .

	من سنة	الى سنة	مدة ولايته
بلج بن بشر	١٢٤	١٢٥	سنة
ثعلبة بن سلامة الجذامي ؟			سنتان
ابو الخطار حسام بن ضرار الكلبي	١٢٥	١٢٩	اربع سنين وتسعة اشهر (من قبل حنظلة ابن صفوان صاحب افريقية)
ثوابة بن سلامة	١٢٩		سنة (من قبل عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية)
عبد الرحمن بن كثير			(من قبل اهلها)
يوسف بن عبد الرحمن الفهري			(من قبل اهلها)

لهذا ، ولما انبعث عن ذلك من تبدل الولاة ، ظلت الولاية الأموية في الاندلس متناقلة ، غير متوارثة بين الآباء والابناء ، على ما وقع من ذلك في كثير من الولايات الأموية ، ولا سيما ما بعدت الشقة بينه وبين دار الخلافة كالاندلس .

شغلت هذه الفتن ولاة الأمويين عن الفتح فلم تنهض بهم همة اليه ، الا ما كان من فتوح عبد العزيز بن موسى . ثم عقبة بن الحجاج السلولي الذي جاهد مظفراً حتى بلغ سكنى المسلمين في ايامه اربونة ، وصار رباطهم على نهر ردونة . والهيثم بن عبيد الكلابي غزا مقوشة فافتتحها .

والسمح بن مالك الخولاني نهض بالفتح الى جنوبي فرنسا . وعنبسة بن سحيم مات — وقيل قتل — وهو على حصار تولوثة (تولوز) . وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي فتح قرقشونة ، ونيم ، وغيرهما من جنوبي فرنسا ، واستولى على ارل ، وليون ، و بزانسون وانتهى الى نور . وعبد الملك بن قطن الفهري غزا البشنكش (البسكة) .

واكثر هؤلاء كان جهادهم في العدو اقرب بنتيجته الى الغزو منه الى الفتح . ومن بقي من هؤلاء الولاة لم يذكر لهم غزو ولا فتح بل انشغلوا في انفسهم ، وفي عصبياتهم ، وفي الجاجشة عن كراسيهم او صحونهم على لغة السياسة اليوم — عن المضي فيما كان يريده موسى بن نصير او في بعضه .

ونحن وان لم نكن ممن يستهوينا تبسط ذلك الفتح الى أبعد مما وصل اليه ، بعد ان ضاع الفتح كله ثمرته ونواته .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

وبعد ان انتهت تلك الأقطار التي كانت تمد تلك الجزيرة الى ما انتهت اليه . غير انا كنا نود لو هذبت حواشي ذلك الفتح بتطهير مخارمه ومفازعه ، فلعل ذلك كان يكون أحفظ للملك ، وأبقى عليه ، وهو ما نشير في موضعه اليه .

موقف الاسبان : و يتسائل الانسان بعد ان صورنا له هذا العهد ، عما كان من امر الاسبان أصحاب البلاد الاصليين ، وقد رأوا هؤلاء الذين سلبوهم ملكهم منشقة كلمتهم ، منقسمين أحزاباً يقاتل بعضهم بعضاً .

لقد كان فتح الاندلس امراً خطيراً كان له دوي كبير ، فأصبح اسم العرب ملء

الأسماع والأبصار ، فانصدعت من جراء ذلك قلوب الاسبان ، وصغرت نفوسهم عن مقاومة العرب اول الامر ، فلم يشجعهم هذا الخلاف الذي نجم بين العرب على منازلتهم وعهدهم بالفتح وببأس العرب قريب . وأخرى هي ان العرب كانوا في حكمهم أعدل من الاسبان، فلم يكن ينال الاسبان الذين تفيأوا ظل الحكم الاسلامي وبقوا على نصرانيتهم ، شيء من الظلم الذي كان ينالهم ايام حكم امرائهم المسيحيين ، وللعدل روعة في النفوس وجلال، حمل اولئك الاسبان الجبليين الذين اعتصموا بتلك الولايات الجبلية ان يتربصوا الى حين .

فلما كثر بين العرب الخلاف واستحكم امره ، وكان قد مضى على الفتح ردح من الزمن ، اخذ الاسبان يتحيفون أطراف الملك العربي فتغلبوا على جزء من بلاد برشلونة ثم على برشلونة . وهذا الذي استخلصوه من العرب ان لم يكن شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الجزيرة ، فهو شيء كبير بنفسه . وأخرى انه فتح على العرب باباً من مطامع الاسبان يدخلون منه الى سائر انحاء الجزيرة ، فيعيدونها الى حيازتهم وهو ما قد كان .

الحضارة والعمران : شجع عبدالعزيز بن موسى الهجرة الى الاندلس ، فوفد عليه الناس من الشام والعراق ومصر وغيرها ، فأقطع كل قبيلة ناحية . وازدحمت الاندلس بالعرب ، وكثر اهل الشام في قرطبة عند ابي الخطار حسام بن ضرار الكلبي الوالي اليمني ، حتى لم تحملهم دار الولاية ففرقهم في البلاد . أنزل اهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق ، وأنزل اهل حمص اشبيلية وسماها حمص ، واهل قنسرين واهل الأردن رية ومالقة وسماها الاردن ، واهل فلسطين شدونة وهي شريش وسماها فلسطين، وأنزل اهل مصر تدمير وسماها مصر .

وانتشرت اللغة العربية في الجزيرة بانتشار العرب انفسهم فيها اولاً ، وبتغلبها على لغة البلاد بقوة الفتح ثانياً ، وأنشأ عبد العزيز بن موسى ديواناً للتوفيق بين الشريعة الاسلامية السمحة، وقوانين اهل البلاد المفتوحة وعاداتهم ، رعاية للمصالح . ووضع السمح ابن مالك الخولاني بامر عمر بن عبد العزيز نظاماً للارض ، وبني قنطرة قرطبة الشهيرة .

* * *

الإمارة الأموية : مدتها مئة وسبع وسبعون سنة ، بدأت في العاشر من ذي الحجة من سنة ثماني وثلاثين بعد المئة (٧٥٦) بصقر قريش — عبد الرحمن الملقب بالداخل . وانتهت سنة خمس عشرة وثلاثمائة ، في عهد عبد الرحمن الناصر . فتعاقب على هذه الامارة بعد عبد الرحمن الداخل ، ابنه هشام الرضي — فابنه الحكم بن هشام — فابنه عبد الرحمن الاوسط بن الحكم — فابنه محمد بن عبد الرحمن — فابنه المقتدر بن محمد — فأخوه عبد الله بن محمد — ثم حفيده عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله وهو ثامن الأمراء الأمويين وبه ختمت الامارة . فهو لما بلغه ان يؤنساً الخادم قتل المقتدر بالله العباسي بالمشرق ، أعلن خلافته وتسمى بامير المؤمنين وضربت السكة باسمه .

عهد الامارة : هذا العهد هو خير العهود التي عرفتها الاندلس العربية فقد كان فاتحته عبدالرحمن الداخل ، وواسطته عبد الرحمن الاوسط ، وخاتمته عبدالرحمن الناصر : ثلاثة لاندري أيهم أفضل من صاحبيه ، فكانوا رجال أمية بالغرب غير منازعين ولا مدافعين ، بل كانوا عرانين أمية عامة في المشرق والمغرب ، ومن رجالات الدهاء والحزم والسياسة في العرب .

عبد الرحمن الداخل : لما انقرضت الدولة الأموية بالشام ، وصار الامر الى بني العباس ، تتبعوا بقايا بني أمية ، ووضعوا فيهم السيف ، وفر من نجا منهم واستخفى . وكان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام اذ ذاك بذات الزيتون [1] ففر منها الى

(١) لم اجد فيما عندي من الكتب ما يعرف منه موضع ذات الزيتون . وفي معجم البلدان الزيتونة موضع كان ينزله هشام بن عبد الملك في بادية الشام فلما عمر الرصافة انتقل اليها فكانت منزله الى ان مات ، فهل الزيتونة هي ذات الزيتون ؟ ان عبد الرحمن مات ابوه وهو صغير فكفله جده هشام صاحب الزيتونة ، فلعل الموضعين واحد ، فيكون عبد الرحمن قد لجأ الى موضع له سابق عهد فيه والله أعلم . او ان ذات الزيتون في جبل حوران المعروف اليوم بجبل الدروز .

فلسطين ، وأقام هو ومولاه بدر يتجسس الاخبار ، و يتنقل من موضع الى موضع ، الى ان دخل بلاد الاندلس . واليكم حديث خروجه من الشام ، يقصه بنفسه على مثال المذكرات السياسية اليوم . قال :

« لما أعطينا الامان ثم نكث بنا بنهر ابي فطرس، وأبيحت دماؤنا ، اتانا الخبر ، وكنت منتبذاً من الناس فرجعت الى منزلي آيساً ، ونظرت فيما يصلحني واهلي ، وخرجت خائفاً حتى صرت الى قرية على الفرات ذات شجر وغياض ، فبينا انا ذات يوم وولدي سليمان يلعب بين يدي ، وهو يومئذ ابن اربع سنوات ، فخرج عني ثم دخل من باب البيت فزعاً باكياً فتعلق بي ، فجعلت أدفعه وهو يتعلق بي ، فخرجت لانظر ، واذا بالخوف قد نزل بالقرية ، واذا الرايات السود منحطة عليها ، واخ لي حديث السن يقول : النجاء فهذه رايات المسوّدة . فأخذت دنانير معي ، ونجوت بنفسي واخي ، وأعلمت أخواتي بتوجهي فأمرتهن ان يلحقنني مولاي بدراً .

وأحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا لي اثراً ، فأتيت رجلاً من معارفي ، وأمرته فاشترى لي دواب وما يصلحني ، فدلّ عليّ عبد له العاملَ فأقبل في خيله يطلبني ، فخرجنا على أرجلنا هراباً والخيل تبصرنا ، فدخلنا في بساتين على الفرات فسبقنا الخيل الى الفرات فسبحنا ، فأما انا فنجوت والخيل ينادوننا بالامان ولا أرجع ، واما اخي فانه عجز عن السباحة في نصف الفرات فرجع اليهم بالامان واخذوه فقتلوه ، وانا انظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة . فاحتملت فيه ثكلاً ومضيت لوجهي فتواريت في غيضة أشبة ، حتى انقطع الطلب عني وخرجت فقصدت المغرب فبلغت افريقية » .

ثم ان اخته ام الاصبغ الحقته بدرا مولاه ومعه نفقة له وجوهر ، فلما علم به عامل افريقية وهو يومئذ عبد الرحمن بن حبيب بن ابي عبيدة الفهري ، لج في طلبه ، واشتد عليه ، فهرب منه فأتى مكناسة — وهم قبيل من البربر — فلقي عندهم شدة يطول ذكرها ، ثم هرب من عندهم فأتى نفزاوة — وهم اخواله — وبدر معه . قيل وخلص عبد الرحمن الى المغرب يحاول فيه ملكاً فلما أعياه الامر ورأى شدة عامله عبد الرحمن بن حبيب ، وما كان من فتكه بالعاص وعبد المؤمن ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، رأى الاندلس أوسع لعمله ميداناً ، وأضمن منالاً ، لبعد الشقة ما بينها

وبين بغداد : دار الخلافة العباسية ، ولما بين اهلها من تنافس وشقاق · فرمى بهمته اليها ·

وجه عبد الرحمن مولاه بدرا الى من في الاندلس من موالي المروانيين واتباعهم يدعوهم الى نفسه ، فاجتمع بهم ، وبثوا له في الاندلس دعوة ، ونشروا له ذكراً ، ووجهوا اليه مركباً مع وفد منهم وابلغوه طاعتهم له ، ورجعوا به الى الاندلس ·

جاز صقر قريش — وهو اللقب الذي أطلقه عليه عدوه وابن عمه المنصور العباسي — البحر الى الاندلس · وما لبث ان سار الى قرطبة فاتخذها له عاصمة ، وجعل يقاتل من نازعه ، ويقضي على من خالفه ، وبعد قتال شديد ، وفتن متطاولة ، تمت له الغلبة على جميع من ناوأه : من عرب وإسبان ، وظهر على جيشي المغرب والفرنجة اللذين قاتلاه نصرة للعباسيين ، او بحجة النصرة لهم ·

وناجته نفسه حيناً من الزمن بالزحف على بغداد ، وانتزاع الخلافة من العباسيين ، كما انتزعوها من قومه ، وهمّ بذلك لولا ان شغله الاسبان ، والفرنجة ، والخارجون عليه ، يمدهم العباسيون بالمال والرجال ·

والذي ساعد عبد الرحمن على امره ، وأعانه على ما كان فيه من خلق الرئاسة الموروثة ، وأسبابها المكتسبة عوامل اربعة :

الاول : ما أنفذته اليه اخته من المال ·

الثاني : اتباع الأمويين ومواليهم ، الذين كان يؤلمهم ان يذهب الملك من أصحابهم بني أمية ، لهوى لهم معهم ، او لعصبية كانت لهم فيهم ·

الثالث : اليمانية المغاضبة التي تغلبت عليها القيسية فسلبتها حقها من الولاية ووترتها وتراً مضاضا ·

الرابع : استعانته بالموالي والبربر الناقمين لاستئثار العرب دونهم بالحكم والرئاسة ·

جمع عبد الرحمن هذه القوى اليه ، بدهائه ومضاء عزمه ، حتى تم امره ، وانقادت اليه الاندلس قاصيها ودانيها ، على شرتها وعرامها · وليس من شيء يدلك على اناة الرجل وسعة حيلته ، وصبره على ما يكره ، مثل ان يدعو للعباسيين على منابر بلاد غلب ولاتهم عليها ، بعد حروب حمي وطيسها ، وبعد ان كان من أفاعيل العباسيين بقومه ما يضيق عنه حلم الحليم · لم يقطع لبني العباس خطبة الا بعد ان تم له الاستقلال ·

ولي عبدالرحمن الحكم ٣٢ سنة وكان فصيحاً لسناً ، عالماً شاعراً ، حليماً حازماً ، سريع النهضة في طلب الخارجين عليه ، لا يخلد الى راحة ، ولا يسكن الى دعة ، ولا يكل الامور الى غيره . شجاعاً مقداماً ، بعيد الغور ، شديد الحذر ، سخياً جواداً .

ومن شعره وقد نظر الى نخلة منفردة بالرصافة وقيل انه هو زارعها فقال :

تبدت لنا وسط الرُصافة نخلة ... تناءت بارض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى ... وطول التنائي عن بنيّ وعن اهلي

نشأت بارض انت فيها غريبة ... فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي

سقتك غوادي المزن من صوبها الذي ... يسيح و يستمري السماكين بالوبل

ومن قومه يتشوق الى معاهده بالشام :

ايها الراكب الميم ارضي ... أقر من بعضي السلام لبعضي

ان جسمي كما علمت بارض ... وفؤادي ومالكيه بارض

قدر البين بيننا فافترقنا ... وطوى البين عن جفوني غمض

قد قضى الله بالفراق علينا ... فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وخلف عبد الرحمن ابنه هشام بعهد منه اليه ، وكان هشام ذا رأي وشجاعة عادلاً ممدوحاً يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز — و يبث عيونه يتسقطون له شكاوى الناس ومظالمهم فيُشكيهم ، غير ان اخويه سليمان وعبد الله شاقاه وخرجا عليه فقاتلهما حتى تغلب عليهما .

وشق عليه عصا الطاعة غيرهما ، منهم سعيد بن حسين الانصاري بطرطوشة ، ومطروح بن سليمان بن قيظان ببرشلونة ، وغيرهما في غيرهما ، فغلبهم كلهم . وجاء بعد هشام ابنه الحكم سنة ١٨٠ فكانت مدة ولايته ستاً وعشرين سنة تعاظمت فيه الفتن وقام عليه ايضاً عماه ، سليمان وعبد الله ، صاحبا الفتنة ايام ابيه ، واستنصر عبد الله شارلمان ملك الفرنجة فكان اليه سريعاً . وهو الذي كان لا ينى يعمل على ايقاد النار في بلاد المسلمين . وانتهى الامر بان تغلب الحكم على معظم المصاعب التي واجهته ، اوقع باهل قرطبة ، و باهل طليطلة ، و باهل ماردة ، ورد غارات الفرنجة عن بلاده ، واعتدى عليهم باشد مما اعتدوا عليه ، وفتك بهم فتك عزيز مقتدر . فعاد الامن الى نصابه .

وأحاديثه بالفتك وسفك الدماء طويلة مستفيضة . ومما يدل على نجدته وبطشه ، انه لما كثرت عليه الفتن الداخلية ، واشتغل بعصيان اهل ماردة ، طمع الفرنج في ثغور المسلمين فقصدوها بالغارة والقتل والنهب والسبي . فأتاه الخبر بشدة وطأتهم . وقيل ان العباس الشاعر كان قد مرّ بوادي الحجارة فسمع امرأة تقول : وا غوثاه بك يا حكم ! لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا ، فأيمنا وأيتمنا . فسألها عن شأنها فقالت : كنت مقبلة من البادية في رفقة ، فخرجت علينا خيل عدو فقتلت وأسرت . فنظم العباس قصيدة يعرض فيها بذلك وأنشدها الحكم وأخبره بأمر المرأة . فجهز الجيوش وخرج غازياً ، وقصد الناحية التي أقبلت منها تلك الخيل ، واتى بالأسرى فذبحهم بحضرة تلك المرأة وأهل بلدها . وقال للعباس قل لها : هل أغاثها الحكم ؟ فقالت لقد شفى الصدور ، ونكى العدو ، وأغاث الملهوف . فأغاثه الله ، واعز نصره . فارتاح لقولها وبدا السرور في وجهه وأنشد :

ألم تر يا عباس اني أجبتها   على البعد أقتاد الخميس المظفرا
فأدركت اوطاراً وبردت غُلة   ونفست مكروباً واغنيت معسرا

وعلى الجملة فقد كان عهد الحكم عهد فتن متصلة ، وفي ايامه كانت وقعة الربض فنسب اليها ، ووقعة الحفرة . وكان على صرامته وبطشه مستهتراً يميل الى اللهو والصيد ، ويؤثر مجالس المغنين والشعراء ، على مجالس العلماء والفقهاء ، وهو اول من استكثر من المماليك بالاندلس وأظهر فخامة الملك وأسرف في تأييد هيبته . ارتبط الخيل على شاطيء النهر قبلي قصره ، الفي فرس . وبلغت مماليكه خمسة آلاف ، وكان يسميهم الخرس لعجمتهم . وتشبه بالجبابرة ، وكان يباشر الامور بنفسه ، فأنكر عليه الفقهاء استهتاره واهاجوا العامة عليه ، فشدد هو عليهم بمنعهم ان يداخلوه في اموره ، ونكبهم وأجلى جمهوراً منهم عن الجزيرة .

وكان الحكم مع هذا عادلاً جواداً ، فصيحاً شاعراً ، يقرب اهل الفضل ، ويؤاسي اهل الحاجات ، ويشبّه بابي منصور في شدة الملك ، وتوطيد الدولة وقمع الاعداء .

ثم ولي الامر عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٠٦ فكانت مدته ثلاثين سنة . ولم تكن ولايته أقل اضطراباً وفتناً من ولاية ابيه الحكم . وكان هو لا يقل عنه بأساً وسطوة .

صرف همه لاخماد الفتن داخل بلاده ، ورد غزوات الافرنج ، فكان منصوراً في اكثر الحروب التي كانت بينه وبين العرب ، وعماله ، والاسبان ، والافرنسيس ، والنرمنديين المعروفة غزواتهم عند العرب بغزوات المجوس . فتغلب على اعدائه كافة بعد جهد جاهد وقتال متطاول .

وكان عبدالرحمن أديباً شاعراً عالماً بالشريعة، وغيرها من علوم الفلاسفة. وكثرت عنده الأموال فصرفها في العمارة .

واخذت الامور بعد عبد الرحمن بالضعف ، فاضطرب الأمن ، ونجمت قرون الفتن في ثغور الاندلس ، واشتعلت الثورات في جوانبها ، حتى كادت تعمها فتلتهمها بجماتها، لولا ان قيض الله لهذه الجزيرة عبدالرحمن الناصر، ففقأ عين الثورة ، ونظم عقد الدولة ، وأعاد الجزيرة سيرتها الاولى ، ايام جديه : وسميّيه عبد الرحمن الاوسط ، وعبد الرحمن الداخل .

موقف الاسبان : قوّت هذه الفتن من عزائم الاسبان ، وزاد في الامر نصرة الافرنج لهم ، واستنصار بعض الامراء بهم ، فكثر اعتداؤهم على الاندلس العربية ، وعملوا على التدخل في سياستها الداخلية ، ينصرون الأمير الأموي على اخيه الأموي، والعامل على اميره . وعلى الجملة فقد كانت نصرتهم للثورة على السلم ، وللفوضى على النظام .

فاسترجعوا من جراء ذلك قسماً كبيراً من ولاية قطالونية .

الحضارة والعمران : لم يصرف عبـد الرحمن ما عاناه من الفتن والحروب ، وتأسيس الملك ، عن اعمال الحضارة والعمران . فلقد أنشأ المدارس ، ودور الكتب ، شحنها بالمؤلفات النفيسة . وبنى الحدائق الغناء ، منها الرصافة تشبهاً بجده هشام الذي بنى الرُصافة بالشام . وبني مسجد قرطبة الاعظم « وكان معبداً للفيزقوط ملكه المسيحيون واخذ المسلمون نصفه . ولما شرع عبد الرحمن في بنائه ابتاع النصف الآخر[1] » فعاجله الموت عن إتمامه .

وأطلق الحرية للنصارى بدينهم ، وكتب لهم عهداً بذلك ..

---

(١) غرائب الغرب للاستاذ محمد كرد علي .

واما هشام بن عبد الرحمن فقد أتم مسجد قرطبة الذي شرع فيه ابوه ، وبنى عدة مساجد غيره ، وجدّد قنطرة قرطبة التي كان عقدها السمح الخولاني .

وجند الحكم الأجناد ، وجمع الاسلحة ، واستكثر من الحشم والحواشي .

واما عبد الرحمن الأوسط فقد كان عصره عصراً زاهياً زاهراً بالحضارة والعلم ، وبكل فن من فنون الأدب . وأحدث أشياء لم يكن للبلاد سابق عهد بها . شاد القصور الفخمة والمنتزهات ، وجاء اليها بالماء العذب من الجبال ، وبنى المدارس والجوامع الكثيرة ، ومهد الطرق ، ونظم الشوارع ، وأقام بها الجسور ، وجمع اليه ذوي الشهرة من شعراء العرب وذوي الفضل منهم .

واليه وفد زرآب المغني معلم ابراهيم الموصلي فأورث صناعة الغناء بالاندلس .

ويعترف الاروبيون انه لم يكن في زمانه دار ملكٍ كدار ملكه أبهةً ومجداً [1] .

عارف النكدي



(١) دائرة المعارف العربية للبستاني .

صلة العلم

« بين دمشق وجبل عامل »

— ٣ —

(٢) الشيخ عز الدين حسين بن شمس الدين محمد بن محمد بن ابراهيم الحسام العاملي الدمشقي :

هكذا جاءت نسبته في امل الآمل وفي اجازة فخر الدين بن العلامة الحسن بن المطهر الحلي له . وكان قد قرأ عليه وهو معاصر للشهيد .

وفي امل الآمل ذكر ترجمة اربعة رجال من علماء عيناثا احدى قرى جبل عامل الجنوبية ينتسبون الى الحسام ولم أتحقق انتسابهم اليه ولا مشاركتهم له في عمود نسبه .

اما صلته العلمية بدمشق فحسبك دليلاً عليها انتسابه اليها .

من علماء المائة التاسعة :

(١) الشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح بن اسماعيل العاملي الحارثي الكفعمي[١] مولداً . واللويزي[٢] محتداً . والجبعي[٣] اباً . والحارثي منسباً . والتقي لقباً . والامامي مذهباً .

هكذا انتسب في آخر كتابه المصباح . ترجمه الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي في امل الآمل . والشيخ يوسف البحراني في كتابه لؤلؤتي البحرين . والشيخ احمد المقري

---

(١) قال المقري والكفعمي نسبة الى كفرعيثا من قرى اعمال صفد كما نقول في النسبة الى عبد الدار عبدري والى حصن كيفا حصكفي . وقال في الروضات وكفعم على وزن زمزم قرية من قرى جبل عامل كاللويزة وجبع . ونقل عن العلامة البهائي ان الكفر على لغة جبل عامل بمعنى القرية وعيثا اسم رجل لقرية هناك والمعروف ان قرية كفعم كانت عامرة منذ مائة وستين سنة وهي من قرى الشقيف على غلوة سهمين من قرية جبشيت وثلاثة أميال من النبطية وقبره معروف فيها وهي اليوم خربة .

(٢) نسبة الى اللويزة من اعمال جزين . (٣) نسبة الى جبع من اعمال النبطية اليوم وكانت قاعدة اعمال التفاح سابقاً .

الاندلسي في كتابه نفح الطيب . وكلهم اثنوا على أدبه وعلمه ووصفوه بطول الباع وسعة الاطلاع .

ومن أساتذته الشيخ زين الدين علي بن يونس العاملي النباطي [(١)] البياضي [(٢)] والشيخ شمس الدين محمد بن زين الدين علي بن شمال العاملي المشغري وكانت قراءته على الثاني سنة ٨٤٨ .

اما صلته العلمية بدمشق فلم اجد من مترجميه من صرّح بها كما انهم لم يصرحوا بذكر ايام تحصيله . واسماء شيوخه الذين اخذ عنهم العلم . والبلاد التي ارتحل اليها في طلبه اللهم الا نتفاً ذكرت في ترجمته لا ترتاح اليها نفس المؤرخ شأنهم في جل ما كتبوه في معاجمهم التي هي مجموعة فهارس وجريدة اسماء وكنى والقاب . وعذرهم ان غرضهم مما كتبوه في الغالب يتمحض لحفظ سلسلة الاجازة لا للتاريخ .

ومن تضاعيف تلك المعاجم وقفت على اسمي شيخيه اللذين ذكرتهما آنفاً وهما لم يذكرا في ترجمته واذا لم نقف على تصريح برحلته الى دمشق لاخذ العلم عن شيوخها فانا نستفيد مما ذكره العلامة الشيخ احمد المقري في الجزء الرابع من ص ٣٩٥ الى ص ٣٥٨ من كتابه نفح الطيب من التعريف به . وايراد نبذة من نظمه ونثره . ومنها رسالته الى قاضي القضاة ابي العباس ابن الفرفوري انه كان على صلة حسنة بعلماء دمشق . واليك محل الحاجة مما جاء بنفح الطيب :

« ومن بدائع الكفعمي رسالة كتب بها الى قاضي القضاة العالم العلامة ابي العباس ابن الفرفوري في شأن استادار قاضي القضاة المذكور الامير علاء الدين [(٣)] ويخرج من اثنائها قصيدة منها [(٤)] . والكفعمي برسالته شفيع بالاستادار الى قاضي القضاة . وفي

(١) نسبة الى النبطية البلد المعروف على غير القياس . (٢) نسبة الى قرية البياض من قرى صور الساحلية . (٣) هو علي بن فخر الدين ولم أعثر له على ذكر في غير هذا الكتاب . (٤) ومن القصيدة هذه الابيات :

وينهي الى قاضي القضاة بأن ذا … علي بن فخر الدين في امركم مرضي
ومدحكم فرض يراه لسانه … وحبكم اياه شاهده يقضي

اتخاذ الاستادار له شفيعاً به الى قاضي القضاة الذي كان يتولى اكبر منصب في دمشق وبيته في ذلك الوقت من أعرق بيوتات العلم والجاه فيها [1] دليل على مكانة الكفعمي الادبية في ذلك البلد الطيب مضافاً الى توثق عرى المودة والأدب بينه وبين قاضي قضاتها ٠

وفي كتاب روضات الجنات ما محصله : ان خازن المكتبة العلوية الغروية اباح للكفعمي مدة من الزمن الاطلاع على نفائس كتبها النادرة الجليلة والاستفادة منها فكانت لمؤلفاته منهلاً فياضاً غزير المادة حتى قال المقري وهو حافظ الاندلس في وقته « وما رأيت مثله في سعة الحفظ والجمع » واورد له أبياتاً من نظمه اقتبس فيها اسماء بعض الكتب وعقبها بقوله « وا كثر هذه الكتب التي ورّى بها غير موجودة بايدي الناس ولا معروفة لديهم وهذا دليل على صحة اطلاعه » ٠

ومن مصنفاته رسالة محاسبة النفس اللوّامة وهي الرسالة التي نشرها صديقنا العلامة عيسى اسكندر المعلوف في بعض مجلدات آثاره ٠

حديث سواكم لا يمر بقلبه ... وان مر لا يحلو وحكمكم يمضي
يتيه به من في القبيبات عزة ... لخدمته اياك يا قاضي الارض
وان يك في أفعاله او مقاله ... عصاكم فمن العفو عن ذنبه تغضي

(١) قال ابن شاشو في كتاب تراجم اعيان دمشق واصفاً هذا البيت « بيت بالرآسة مشهور ٠ وفي قديم الكتب مذكور ٠ اكثره قضاة وصدور ٠ ولعفاة المجد به ورود وصدور » ٠ وقال البديعي في كتابه ذكرى حبيب في ترجمة الشيخ احمد بن محمد « هو من ذوي الحسب والعراقة ٠ وارباب اللسن والطلاقة ٠ وآباؤه صدور الدروس ٠ وزينة الازمنة والطروس » ٠ وترجم المحبي من رجاله اربعة : الاول الشيخ احمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٣٧ الثاني الشيخ عبدالوهاب وترجمه ابن شاشو توفي سنة ١٠٧٣ الثالث الشيخ محمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٢٢ الرابع ولي الدين بن احمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٧٢ ٠ وفي خطط الشام ذكر عبد الرحمن بن فرفور المتوفي سنة ٩٩٢ وابن شاشو ذكر احمد بن ولي الدين وابن معصوم في سلافته الشيخ مصطفى ٠

لم اجد من مترجميه من تعرض لتاريخ وفاته والراجح انه توفي في آخر العقد العاشر من المائة التاسعة ·

من علماء المائة العاشرة :

(١) لامام الشيخ زين الدين بن علي بن احمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي الدين ابن صالح تلميذ العلامة الحسن بن المطهر بن مشرف العاملي الجبعي الملقب بالشهيد الثاني [١] وفي بعض كتبه زاد على نسبته التحاريري [٢] وصاحب روضات الجنات الطاوومي [٣] .

كان نسيج وحده في استجماع الفضائل · والحرص على تحصيل العلوم والفنون والرحلة في طلبها الى اكابر الشيوخ من الفريقين السنة والشيعة · وامام عصره في التحقيق وكثرة التصنيف والتأليف مع الاجادة حتى بلغت مصنفاته مابين مطول ومختصر ستين كتاباً · وما كتبه بخطه من الكتب مائة كتاب وشرح جل كتب الشهيد الاول في الفقه · ومن اولياته بين العلماء الامامية انه اول من مزج في شروحه الشرح بالمتن وهي الطريقة التي استفادها من شراح علماء السنة ولم تكن معروفة عند علماء الامامية · واول من صنف في الدراية ·

ترجم نفسه ترجمة مطولة مفصلة ممتعة تبتدئ بتاريخ ولادته · وتنتهي باول سني محنته · وهذا ملخصها :

---

(١) لقب بذلك تمييزاً له عن الشهيد الاول الآنف الذكر الذي اطلق عليه هذا اللقب بعد مقتل صاحب الترجمة · (٢) نسبة الى التحارير وهي من قرى جبل عامل الجنوبية الدارسة · والمظنون ان موقعها في الارض المسماة في هذه الايام بوادي الشعار ير على بعد ميلين من قرية ميس · وذكرها الشيخ محمد الحيساني (نسبة الى قرية بني حيان من عامل الجنوبي) في مقطوعتين من شعره فقال في احداهما :

حييت ياشام من شام ومن وطن ولا تعداك جون المزن يا وطني
وان اكن قاطناً ارض العراق ففي ارض التحارير لي قلب بلا بدن

(٣) والراجح أنه محرف عن الطلوسي نسبة الى طلوسة وهي من قرى جبل عامل الجنوبية على مقربة من ميس وارض التحارير ·

ولد سنة ٩١١ وختم القرآن الكريم سنة العشرين . وقرأ على والده اوليات العلوم الى سنة ٢٥ وفيها توفي والده فارتحل الى مدرسة ميس الكبرى وانتقل منها سنة ٩٣٣ الى كرك نوح . وعاد الى وطنه جبع سنة ٩٣٤ وسنة ٩٣٧ رحل الى دمشق فقرأ على محمد بن مكي[1] من الطب شرح الموجز النفسي . وغاية القصد في معرفة الفصد من مصنفاته . وفصول الفرغاني في الهيأة . وبعض حكمة الاشراق للسهروردي . وعلى الشيخ احمد بن جابر الشاطبية في علم القراءة والقرآن بقراءة نافع وابن كثير وابي عمرو بن عاصم . وعلى الشيخ شمس الدين بن طولون الدمشقي الحنفي[2] جملة من الصحيحين وأجازه روايتهما مع مايجوز له روايته بمدرسة السليمية في الصالحية . وسنة ٩٣٨ رجع الى بلده جبع . وسنة ٩٤٢ هاجر الى مصر وحضر حلقات دروس اربعة عشر عالماً من مشاهير علمائها في مختلف العلوم[3] ومنها سافر الى الديار الحجازية سنة ٩٤٣ لتأدية فريضة الحج بصحبة الشيخ ابي الحسن البكري احد شيوخه . وعاد سنة ٩٤٤ من الحجاز الى وطنه . وسنة ٩٤٥ سافر الى العراق ثم آب الى بلاده . وسنة ٩٥١ شخص الى قسطنطينية يصحبه تلميذاه الشيخ حسين بن عبدالصمد الهمداني[4] الجبعي والد العلامة البهائي والشيخ محمد بن العودي الجزيني[5] وبعد مكثه بها مدة ثلاثة اشهر ونصف موفور الحرمة عند علمائها ذوي الولايات

---

(١) كان عالماً بالطب والهيأة والهندسة ذكره ابن العودي وصاحب امل الآمل وصاحب خطط الشام توفي سنة ٩٣٨ . (٢) من أعيان علماء دمشق في المائة العاشرة نحوي فقيه محدث مؤرخ له مصنفات كثيرة في التاريخ على اختلاف ضروبه توفي سنة ٩٥٣ — عن خلاصة الاثر . (٣) ذكر اسماءهم بالتفصيل مع وجيز من وصف فضلهم واحوالهم في ترجمته وقد اجازوه كلهم . (٤) تخرج بالمترجم له وأقام مدة في بعلبك وبها ولد ولده العلامة البهائي . ثم سافر الى خراسان بعد ان درس مدة في مدرسة حلب التي فوض اليه التدريس فيها . وأقام مدة في هرات . ثم انتقل الى البحرين وبها توفي سنة ٩٨٤ وله مؤلفات في مختلف العلوم وديوان شعر . وقد أجازه شيخه المترجم له اجازة عامة (٥) كان مرافقاً لصاحب الترجمة في الحل والترحال وقرأ معه في دمشق الصحيحين على الشيخ شمس الدين بن طولون الآنف الذكر وأجازه بروايتهما وصحبه الى مصر والعراق

الدينية الكبرى وحصوله على براءتين من السلطان سليمان العثماني احداهما له بالتدريس في المدرسة النورية في بعلبك · والثانية لتلميذه الشيخ حسين بن عبدالصمد في احدى مدارس حلب غادرها وقد عرج في طريقه على العراق · وسنة ٩٥٣ قفل الى البلاد و باشر التدريس في المدرسة النورية البعلبكية التي فوضت اليه ولاية التدريس بها · يدرس في المذاهب الخمسة · ويعلم كثيراً من الفنون · ويصاحب اهلها على اختلاف آرائهم احسن صحبة · ويفتي اهل كل مذهب بما يوافق مذهبهم · وهو بين الجميع نابه الذكر · علي القدر · وافر الحرمة · ثم فارقها مختاراً غير مبخوس الوزن الى بلده جبع · فانصب فيه على الدرس والتصنيف · عازفاً عن الدنيا وزخارفها · مرتفقاً مع انصبابه على العلم بما يبلغه الكفاف والعفاف الى سنة ٩٥٥ التي انتهت بها ايام امنه · وابتدأت ايام مخاوفه من الاعداء تدبر له المكايد · وتلفق فيه المحاضر · وظاهر حاسديه عليه بعض ولاة السوء من الحشو بين ولم يثنه ذلك كله عن التصنيف حتى انه صنف شرحه على اللمعة الدمشقية بمجلدين كبيرين في مدة ستة اشهر وهو مستتر عن العيون والارصاد بظلال الاشجار وهذا الشرح جاء من خيرة كتبه ·

ولما جدّ به الطلب ولم تغفل عنه عيون الوشاة فر الى الحجاز فلحق به رسول السلطان وقبض عليه وجاء به حتى اذا اقترب من قونية قتله باشارة بعض الجهلة وحمل برأسه الى السلطان فأنكر فعلته وجازاه بالقتل بسعي صديق صاحب الترجمة السيد عبد الرحيم العباسي مفتي قسطنطينية وصاحب كتاب معاهد التنصيص ·

وروى بعض مترجميه ان اصدقاءه الكثيرين من دمشق وغيرها من علماء وقته كتبوا يستشفعون به الى السلطان حين جد به الطلب وكان مقتله سنة ٩٦٥ ·

* * *

وقسطنطينية وبعلبك مدة اقامته بها وكتب رسالة خاصة في ترجمة أستاذه ضم اليها ما كتبه عن نفسه · وما تجدد له من الحوادث وعدد مصنفاته · وذكر تلامذته وولده ولم يدع شاردة ولا واردة من احواله الا وقد ذكرها وله شعر متوسط ورثى أستاذه بقصيدة مطولة ·

علماء المائة الحادية عشرة :

(١) الشيخ جمال الدين ابو المنصور الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي الجبعي الشهير بالشامي .

علم من أعلام هذه المائة وامام التحقيق . له التصانيف الجليلة الجامعة الى غزارة العلم بلاغة العبارة ومنها مقدمة معالم الدين وملاذ المجتهدين في علم اصول الفقه وهو كتاب نافع يدرس الى اليوم . وهو معدود في الطبقة الاولى بين شعراء وقته .
ترجمه المحبي والخفاجي وابن معصوم والحر العاملي والبحراني وحفيده الشيخ علي في كتابه الدر المنثور وكلهم أثنوا على علمه وأدبه . توفي سنة ١٠١١ في جبع وقبره معروف فيها الى اليوم .

(٢) ولده الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي :
من اكابر علماء عصره المحققين له مصنفات جيدة في فنون من العلم . ونثر وشعر متوسط الطبقة . رحل رحلات الى مكة والعراق ولم يلبث في العراق الا قليلاً وغادرها الى مكة خائفاً يترقب من اعدائه الذين رمي بسهم من احدهم فأخطأه ولم يزل مجاوراً بها الى ان توفي سنة ١٠٣٠ .

كان في عهد اشتغاله بالعلم يذهب الى دمشق ويقيم بها ويخالط بفضلائها ويصاحبهم ويعاشرهم أحسن عشرة . وقرأ عندهم في علوم شتى . ومن جملة شيوخه الشيخ شرف الدين[1] الذي كان يقول اذا انتهى اليه التحكيم بما كان يجري بينه وبين تلامذته من المناظرة « يا اخواني لا تغبر في وجه الحسان » يعني بذلك صاحب الترجمة وكان هو والشيخ محمد بن الحرفوش من تلامذته . وكان من زهاد عصره ومما رواه عنه ولده الشيخ علي في كتابه الدر المنثور انه رد صلة صديقه الامير يونس حاكم بعلبك في ذلك الوقت وهي صلة لا يستهان بها تورعاً كما رفض التماس بعض ملوك عصره حضوره اليهم للاستفادة

(١) احد أفاضل دمشق المشهورين بالفضل التام وكان متبحراً ذا فنون كثيرة اقرأ الكثير وضبط وقيد وجلس مجلس التدريس ونفع كثيراً من الافاضل اخذوا عنه وانتفعوا به توفي سنة ١٠٣٨ (عن خلاصة الاثر) .

من علمه تجنباً للظهور . وابتعاداً عن رجال الدنيا .

(٣) اخوه الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي :

ذكره غير واحد من رجال المعاجم كالحر العاملي والمحبي وابن معصوم والبحراني واخوه في كتابه الدر المنثور وكلهم أطروا علمه وادبه .

سافر الى بلاد العجم وقرأ مدة على العلامة البهائي وبعد وفاته ارتحل الى مكة ومنها الى بلاده ثم رجع الى العجم لامر اقتضى ذلك وعاد الى بلاده سريعاً ومنها سافر مرة ثانية الى مكة وفيها توفي سنة ١٠٦٤ .

وشعره معدود في الطبقة الاولى بين شعراء عصره ولم يؤلف كتاباً مدوّناً لشدة احتياطه ومخافة الشهرة وليس له الا فوائد وحواش كثيرة غير مدوّنة بكتاب .

(٤) الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي الشهير بالبهائي :

من أقطاب العلم وأشهر رجال الفنون في هذه المائة وهو اعرف من ان يعرف وله مصنفات في اكثر العلوم المعروفة تجنب فيها التطويل .

سافر ابوه به الى العجم وهو ابن سبع سنين . ثم انتقل به الى البحرين وفيها توفي فعاد صاحب الترجمة الى بلاد العجم وأقام في اصفهان فأكرم الشاه عباس الصفوي وفادته وولاه مشيخة الاسلام . وتخلى عن ذلك الى السياحة في الآفاق مدة ثلاثين سنة . وزار مصر ودمشق وحلب والقدس . واجتمع بمحلة الخراب باديب دمشق في ذلك الوقت الشيخ حسن البوريني فظهر له من غزارة علمه وتحقيقه ما بهره وترجمه كما ترجمه المحبي ترجمة مطولة والحر العاملي والبحراني وابن معصوم والخفاجي والطالوي في سانحاته والمنيني في مقدمة شرحه لقصيدته . توفي في اصفهان سنة ١٠٣١ ودفن في المشهد الرضوي .

(٥) الشيخ حسن بن علي بن حسن بن احمد بن محمود العاملي الكونيني الشهير بالحانيني [1] :

---

(١) نسبة الى كونين وحانين وهما قريتان متجاورتان من قرى عاملة الجنوبية وعلى ضعة اميال من تبنين .

انتقل ابوه الشيخ علي وهو من العلماء من المدينة الى جبل عامل فكان له فيه خلف صالح . ولصاحب الترجمة بعض المؤلفات الادبية والتاريخية وديوان شعره . واثنى عليه المحبي وقال بعد ان وصفه بالفضل والادب « وكان مقيماً ببلده بيت حانيني [١] من ضواحي صفد . وافتى مرة في حياة الشهاب احمد الخالدي [٢] » .

وترجمه الحر العاملي في امل الآمل توفي سنة ١٠٣٥ .

(٦) الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي المشغري .

الامام المحدث الكبير له مؤلفات كثيرة جلها في علم الحديث وشعره الكثير متوسط الطبقة بالنسبة الى شعراء زمانه .

ترجم نفسه في كتابه أمل الآمل وترجمه ابن معصوم والبحراني والمحبي ترجمة مطولة . سافر الى بلاد العجم وأقام في طوس وبها توفي سنة ١٠٧٩ .

(٧) الشيخ محمد بن علي بن محمود بن يوسف بن ابراهيم الشامي العاملي المشغري [٣] .

امام القريض والادب في وقته وشعره مطبوع نقي الديباجة رحل الى الهند وأقام فيها مديدة بكنف الامير نظام الدين احمد بن الامير معصوم الحسيني . وبه تخرج في كثير من الفنون والآداب ولده السيد علي بن معصوم صاحب السلافة . وقد اطنب بمدحه في سلافته . وترجمه المحبي والحر العاملي .

توفي في الهند سنة ١٠٩٠ ونيف بعد تنقلات واسفار في العجم والحجاز .

(٨) السيد جمال الدين بن نورالدين علي بن ابي الحسن الموسوي العاملي الجبعي .

هكذا جاءت نسبته في امل الآمل . وفي خلاصة الاثر « السيد جمال الدين بن نور الدين بن علي بن ابي الحسن الدمشقي » .

(١) تقدم التعليق على الحانيني وانه نسبة الى حانين وهي قرية عامرة معروفة بهذا الاسم خلواً من لفظ بيت . (٢) الشيخ احمد بن محمد بن يوسف الصفدي الفقيه الاديب الحنفي المتوفى في صفد سنة ١٠٣٤ والخالدي نسبة الى خالد بن الوليد الصحابي (رض) عن خلاصة الاثر . (٣) نسبة الى مشغرة من اعمال البقاع وفي خلاصة الاثر بدل المشغري الحشري وهو تحريف .

قال صاحب امل الآمل بعد ان وصفه بالعلم والفضل والتحقيق والشعر « وكان شريكنا في الدرس عند جماعة من مشايخنا » .

وقال المحبي « قرأ بدمشق وحصل وحضر مجالس العلامة السيد محمد بن حمزة نقيب الأشراف فأخذ عنه من المعارف ما تنافست عليه فيه الآراء . هاجر الى مكة وابوه ثمة في الاحياء فجاور بها . ثم دخل الهند فحيدرآباد . وتقلبت به الايام الى ان توفي سنة ١٠٩٨ واخوه السيدعلي وهو من الشعراء واقام بمكة . وعنه اخذ المحبي ترجمة اخيه المترجم له .

(٩) الشيخ محمد بن احمد المعروف بالحريري و بالحرفوشي العاملي الدمشقي اللغوي النحوي الاديب البارع الشاعر المشهور .

« كان في الفضل نخبة اهل جلدته » هكذا عرّف به المحبي . وقال بعد ذكر مؤلفاته . قرأ بدمشق وحصل وسما . وحضر دروس العمادي المفتي وكان يجله و يشهد بفضله . ثم ذكر سبب مفارقته الشام الى العجم واتصاله بسلطانها الشاه عباس الصفوي الذي صيره رئيس العلماء في بلاده بعد ان كان خامل الذكر يصنع القماش المتخذ من الحرير ولهذا سمي الحريري الى غير ذلك مما لا محل لذكره .

وهو مترجم في السلافة وامل الآمل وتراجم اعيان دمشق وفي السلافة بدل الحريري الحويزي وهو خطأ يوهم انتسابه الى الحويزة احدى كور العراق . وزاد في امل الآمل على نسبته الكركي نسبة الى كرك نوح من اعمال البقاع على مقربة من زحلة . واكثر مترجميه نسبوه الى عاملة كما نسبوا العلماء الكركيين اليها متابعة لبعض المؤلفين الذين توسعوا بحدودها حتى ألحقوا بها بعلبك . وقد تقدم في بعض تعليقات هذا البحث تحديده المعروف . والذي أراه ان هذا التحديد المتوسع فيه هو تحديد ادبي ومذهبي لاجغرافي وسياسي لان الكرك وبعلبك لم تكونا من اعمال عاملة وهما منفصلتان عنها جغرافياً واقتصادياً وسياسياً قديماً وحديثاً ولكنهما متصلتان بها ادبياً ومذهبياً . واشتط الحر العاملي في هذا التوسع حتى عد في العامليين ابا تمام الطائي وابن منير الطرابلسي ورهطاً من العلماء الدمشقيين . وقد كانت له مندوحة عن هذا التوسع المخالف للمعروف من تحديد جبل عامل بان يضم تراجم الخارجين عنه الى القسم الثاني المخصص لغير العامليين من كتابه .

توفي صاحب الترجمة سنة ١٠٥٩ .

من علماء المائة الثانية عشرة :

(١) الشيخ علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي الاصفهاني .
صاحب كتاب الدر المنثور من المأثور وغير المأثور وغيره من الكتب الممتعة . اودع في ذلك الكتاب تراجم آبائه مفصلة . وترجمة له مطولة . استقصت احوالهم . وشغفهم بالعلم من المهد الى اللحد . واحتمالهم مشاق الرحلة في طلبه واخذه عن شيوخه . وما منوا به من مصابرة محن الايام . ومكايد الحساد اللئام .

لم يصف الزمان لرجال هذا البيت الذين ورثوا العلم كابراً عن كابر وكانوا حسنات عصورهم فالشهيد زين الدين وهو من اعلام المائة العاشرة يتصل بسلسلة النسب العلمي بستة آباء كلهم علماء اولهم الشيخ صالح بن شرف تلميذ العلامة الحسن بن المطهر الحلي من رجال المائة الثامنة . ومن الشهيد تسلسل العلم في بنيه واحفاده الى المائة الثانية عشرة .

اما الشهيد وهو من اشهر رجال هذا البيت واعلم علماء الامامية فقد مات قتيلاً في قونية . وحفيده الشيخ محمد وولده الشيخ زين الدين فقد ماتا غريبين فراراً من الاعداء في مكة . والشيخ علي المترجم له واولاده الشيخ محمد والشيخ حسين والشيخ علي والشيخ محيي الدين ماتوا في اصفهان . وفيها مات ابن اخيه الشيخ علي بن زين الدين بن محمد ابن الحسن زين الدين الشهيد وكلهم من اكابر العلماء .

وروى صاحب الترجمة في كتابه الدر المنثور من بعض نكباتهم احتراق الف كتاب من مكتبتهم وانه لم يحصل بعد العناء الشديد الا على مائة كتاب من الفي كتاب مما كان لهم امانة في دمشق وبعلبك وبلادهم .

كتب المترجم له سبعين كتاباً بخطه ماعدا مؤلفاته الكثيرة ولد سنة ١٠١٣ وتوفي سنة ١١٠٣ وقد زرف على التسعين .

من علماء المائة الثالثة عشرة :

(١) الشيخ ابراهيم بن يحيى المخزومي العاملي الطيبي [1] .
من اعيان علماء عصره واكابر شعرائه المفلقين اخذ مبادئ العلوم في بلاده عن ابيه

---

(١) نسبة الى الطيبة .

وعن علامة جبل عامل في وقته السيد ابي الحسن قشاقش جد أسرة آل الامين ثم هاجر الى بلاد العجم فأقام في اصفهان دار العلم في ذلك العهد مدة عشر سنين وآب الى وطنه عالمًا متبحرًا متفننًا شاعرًا وله بعض المؤلفات وديوان شعره الذي يحوي اربعين الف بيت كما روى لي ذلك حفيده الشيخ عبد الحسين بن ابراهيم بن صادق بن ابراهيم المترجم له احد علماء هذا العصر وشعرائه المطبوعين ·

كان معاصرًا لمشايخ آل الصغير الوائليين وآل صعب الايوبيين في ابان صولتهم وزهرة حكمهم الاقطاعي وله فيهم المدائح الحسان ·

ولما حدثت ١١٩٥ معركة بارون[١] بين جيش احمدباشا الجزار الكثيف والعامليين على حين بغتة وانجلت عن مقتل كبير مشايخهم نصيف النصار الصغيري الوائلي وانهزامهم اشتدت وطأة الجزار الثقيلة على البلاد وأمعن فيها جيشه الظافر بدمر حصونها وينهب أموالها و يسوم اهليها ضروب النكال والقتل والتعذيب وكان اشد البلاء مصبوبًا على رؤوس العلية والعلماء ولم ينج منهم بعد استصفاء مكاتبهم الحافلة بنفائس الكتب[٢] الا من كتبت له السلامة بالفرار · وكان صاحب الترجمة من البقية التي سلمت من سيف ذلك الغالب المنتقم فهبط دمشق وسكن في محلة الخراب · وصاهر أشراف آل المرتضى على احدى كرائمهم و كرائمه وطوى الشطر الأخير من صحيفة ايامه بين ظهرانيهم محترمًا مكرمًا · ولم يكن ذلك بالذي يسليه عما حل ببلاده من مظالم الجزار التي شاهد منها الكثير عن كثب بعينه · وما زال يتسمع وهو في دمشق من ألسنة الرواة فادح انبائها فنظم في الحنين اليها · والعطف عليها · قصيدته السائرة التي مستهلها :

من لي برد مواسم اللذات   والعيش بين فتى وبين فتاة
ورجوع ايام مضين بعامل   بين الجبال الشم والهضبات

(١) من قرى عاملة الجنوبية المتاخمة لحدود فلسطين الشمالية · (٢) على رواية بعض العامليين ان ما انتهب من مكتبة آل خاتون التي كانت تحوي اربعة آلاف مجلد ثلاثة آلاف مجلد ونيف فما بالك فيما انتهب من المكاتب الاخرى الكثيرة · وروى غير واحد ان أفران عكاء أوقدت سبعة ايام بكتب العامليين ما عدا الكتب التي استصفاها حاشية الجزار والتي وقفها على المسجد المنسوب اليه ·

وهي قصيدة طويلة من بارع شعره ومتخيره ·

على ان حنينه الى وطنه المشرد عنه · وتذكاره ايامه الخوالي وهو تحت سمائه مرفه الحال · هادئ البال · لم يقفا بقريحته الفياضة عن وصف دمشق جنة الارض وكل ما فيها وحيٌ وإلهام فقال :

ولما بلغت الشام صادفت جنةً ... بها الحور والولدان فذٌّ وتوأمُ
هي الغادة الحسناء ترقص فرحةً ... فيُنثر دينارٌ عليهـا ودرهمُ
تبختر في ثوب الغنى وهو مسبل ... وتختال في برد الهنا وهو معلَمُ
وانهارها تفترُّ عن درر الحصى ... ويُظهر مكنون الثغور التبسمُ
وكم روضة فيحـاء قد نثر الحيا ... عليهـا فريداً قلما يتنظمُ
رياضٌ اذا هزَّ النسيم غصونها ... تأوه مشتاقٌ وحنَّ متيمُ
وان اخرجت من كمها يانع الجنا ... تشارك فيه العين والأنف والفمُ
تبارك من اولي الشـآم محاسناً ... غرائبها عنَّ لمن يتشاءمُ
محاسنها شتى جليٌّ وغامضٌ ... وجوهرها في الحسن لا ينقسمُ
هي الدار نعم الدار لو ان عيشها ... يدوم ولكن الفنـاء محتمُ

ولد صاحب الترجمة سنة ١١٣٦ وتوفي بدمشق سنة ١٢١٣ قبل مهلك الجزار بخمس سنين ·

أثر الصلة العلمية في البلدين :

ان من المستصعب جداً تحديد مالهذه الصلة العلميـة من الاثر في دمشق وجبل عامل وذلك لامور : (الاول) لان هذه الصلة لم تكن منتظمة لعدم انتظام الهجرة العاملية العلمية الى دمشق · (الثاني) لان المظان التي يرجع اليها في هذا البحث مفقودة · (الثالث) لسكوت المعاجم الدمشقية وغيرها عن ذكر رجال حلقتها الاولين من العامليين · وحسبك انك لاتجد فيهـا ذكراً للشهيد الاول وهو اول من عرف بهجرته الى دمشق واول عامل على تحقيق هذه الصلة وما كان مجهول الفضل بدمشق في زمانه ومنزله كما عرفت · كان لا يخلو من ترداد علمائها عليه ولم يكن مؤرخونا بالزاهدين بتدوين التافه منهـا فكيف يعرضون عن تدوين جليلها ·

ان العامليين لم يكونوا باقل من الدمشقيين ملاماً في تركهم البحث عن هذه الصلة ·
ومن العجيب ان نعرف للكفعمي صلته بدمشق من المقري الاندلسي ولا نعرفها من العامليين انفسهم وان نجهل المآخذ التي اعتمدها فيما كتبه عنه والمجهول لنا من تلك الصلات كثير · ولعل هذه الحلقة من حلقات التاريخ مما فقد مع المفقود وهو الكثير من ميراث البلدين العلمي ·

ولئن عمّي علينا نبأ تلك الصلات فجهلنا أثرها فيها منذ ابتداء تاريخها من المائة الثامنة الى المائة العاشرة والحادية عشرة فان رجال معاجم هاتين المائتين ومنهم المحبي والشهاب الخفاجي وابن معصوم قد عرّفوا برهط علمي عاملي ممن ذكر في هذه الأطروحة ومن لم يذكر من رجالها ومنه يستفاد ما لهذه الصلة في ذين العصرين من التأثير البين في مستوى البلدين الأدبي ·

ومن آداب جبل عامل ودمشق وماليها من الديار الشامية مادة غزيرة لريحانة الشهاب الخفاجي وسلافة العصر لابن معصوم وغيرهما من غير المعاجم الدمشقية ·

على ان اثر تلك الصلات أبين ظهوراً في جبل عامل منه في دمشق · وبتأثير صلة الشهيد الاول بدمشق قامت مدرسة جزين مسقط رأسه ومقر بنيه وذريته من بعده بتعليم منتظم مطبوع بطابع المدارس الدمشقية وأمها وفود العلم من كل حدب وصوب وكانت مبدأ النهضة العلمية العاملية وقام على مثالها مدارس كثيرة في عرض البلاد العاملية وطولها ·

ومشى الشهيد الثاني وبعض بنيه وكثيرون من جبل عامل على طريقة الشهيد الاول في تجديد عهد تلك الصلة فاخذوا عن شيوخ دمشق مختلف العلوم وما كانت هذه الصلة لتتوتر لولا تراجع العلم في البلاد وتواتر الفتن وتتابع المحن وانا لنرجو ان تتوثق عراها بين البلدين في هذا العصر الذي اصبحت فيه دمشق بعد شقيقتها مصر حافظة البقية الباقية مما ترك كر الغداة ومر العشي من تليد السلف الصالح وحاملة لواء العلم والثقافة والتجديد للامة العربية ورافعة منار فصحاها ومشذبة اصولها من الدخيل ورطانته بجامعها وجامعتها ومجمعها وعلمائها العاملين ·

عضو المجمع العلمي
سليمان ضاهر

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

تمهيد كُتِب لي الحظ في أوائل العمر ان أحضر مجالس الاستاذ العلامة المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي في بيروت في سنة ١٨٩٠ — ١٨٩٣ وكثيراً ما سمعت تصريحاته بشأن الألفاظ العربية ولغة الجرائد والتعريب ولغة الدواوين واللغة العامية ومحادثاته مع علمائنا اللغويين مثل الاستاذ الشيخ عبد الله البستاني والمرحوم الشيخ ابرهيم الحوراني وقرأت ما نشرته الصحف اذ ذاك بشأن وضع الفاظ للمدام والمدموازيل وجبني وغيرها مما طال به نَفَس الكلام الى حدّ يملّ منه القارئ ودخل في ميدان تلك المناظرات رهط كبير من علمائنا وأدبائنا حتى أفضى الامر في بعض الاحايين الى الخصام ورشق سهام اللوم والتعنُّت فخرج البحث عن الموضوع الأصلي الى المهاترة والمشاكسة شأننا في بعض الأوقات . فالأجدر بنا في مناقشاتنا هذه ان لا نمس الشخصيات ولا نتعرض لمس الحاسّات بل نقتصر على الأبحاث اللغوية .

وبناءً على تلك الحوادث الخارجة عن موضوع اللغة ضاعت الحقائق اللغوية في زوايا الاهمال .

ثم جاء بعض علماء المشرقيات يصدعون بوجوب كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية . وبعضهم يشتغلون باللغة العامية وضبط لهجاتها في كل قطر مقترحين على الكتاب مجاراتهم في ذلك . وبعضهم أبدى آراء في التعريب وكتابة الأعلام مما ملأ الصحف أقوالاً متباينة .

فلبيت الطلب بكتابة مقالات مطولة في (اللغة العربية العامية) نشرتها في جريدة المنار البيروتية سنة ١٨٩٩ تطرقتُ فيها الى آداب العامية اشتقاقاً وصرفاً ونحواً وبياناً

وبديعاً وعروضاً وشعراً ونثراً وأساليب وامثـالاً ونعابير وما ساوق هذا مما اوحته اليّ القريحة وقادني اليه البحث .

ثم بعد ذلك اعتنيت بجمع اللغة العربية العامية في سورية ولبنان بمعجم كبير بينت فيه الاشتقاقات والتحريف والتصحيف والدخيل ورددت ما أمكن ردّه الى اصـله ووضعت لما ليس له كلة عامية فصيحة ما يقابله من الفصحى . وراجعتُ كثيراً من الكتب البليغة وسللت منها الفاظاً استعملوها وهي ليست في المعاجم وأبنتُ تاريخها ومظانّ استعمالها الى نحو ذلك فكان لديّ كتاب ضخم لرد اللغة العامية والألفاظ غير القاموسية الى نصابها ووضعت كتاباً آخر سميته (تحفة المكاتب للمعرّب والكاتب) استعملتُ فيه طائفة من الأوضاع والمعرّبات والمصطلحات الكثيرة الدوران على الألسنة وهكذا كنت أنشر منها في مجلتي الآثار نتفاً بعنوان (ذخيرة الكتّاب) من هذين المخطوطين .

فبعـد هذه المقدمة أنتقل الى الموضوع فأجيب على الاقتراح مادة مادة ولعلي على هدىً في ما أروي الآن .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

جواب الاقتراحات أجيب الآن على اقتراحات الرصيف الاستاذ «المغربي» بهذه المجالة :

(الصنف الاول) — لا بأس باستعمال ما جرت به اقلام الفصحاء والبلغـاء في كتاباتهم مثل ما بيّنه المقترح في مقالته ونزيد عليهـا مثل قول ابن بطوطة المغربي في رحلته (القبرية) التي سماها المبرّد (الشاهدة) وهي ما يوضع على القبر من الكتابة ونحوها ويسميها الافرنج (Epitaphe) وهي من كلتين يونانيتين معناهما (على القبر) فكأنهـا ترجمة حرفية للكلمة الافرنجية .

ووضع ابن بطوطة ايضاً العرَبة للعجلة التي تقل الركاب .

ووضع ابن خلدون الهداية للغريزة الحيوانية (Instinct) والمعصار لما نسميه نحن المكبس وهو آلة لعصر الأشياء ويسميها بعض العامة الملزمة وهو نوع آخر من المعصار . وفي تذكرة داود البصير الطبيب الانطاكي الفاظ استعملها مثل الأطرية لما نسميه نحن

بالرشتة وهي من الفارسية (رِشْته) اي خيط لشبهها بالخيوط والمصع لثمر العلّيق والجساد للزعفران والجرّي للانكليس السمك النهري الطويل المعروف وتسميه عامتنا حنكليس ايضاً والجامسة للفول . والدشيشة للحنطة المسلوقة التي يسميها الاتراك (بولغر) وتسميها العامة بالتحريف برغل . وقال عن الموميا انها يونانية والارجح انها حبشية بمعنى الطين وهو نوع من التراب اتخذ لحفظ الأجسام . وفي ماوقفت عليه وما اقتنيته من المخطوطات في فنون كثيرة اصطلاحات يمكن استخراجها لاستعمالها . الى غير ذلك مما وضعه الكتاب حتى عهدنا بالقياس او الاشتقاق او الاستخراج من ثنايا الكتب اللغوية وفي اوضاع المجامع العلمية في مصر ودمشق والمجلات والكتاب المحققين ما يعين على هذا الصنف ونشره .

(الصنف الثاني) — دخل في قولنا في الصنف الاول استعمال المولدين والمتأخرين حتى المعاصرين وهو من التساهل في اللغة مثل نخيم ونخم الخ .

(الصنف الثالث) — استعمل كثير من كتاب الانشاء والدواوين قبلاً ما استعمله زملاؤهم في عهدنا وهذا (قوانين الدواوين) لابن مماتي و (معالم الكتابة) لابن شيث القرشي و (كفاية الشروط) لاحدهم و (الأحكام السلطانية) للماوردي و (صبح الاعشى) للقلقشندي وأمثالها مشحونة بمثل هذه الاصطلاحات فما أمكن ايجاد مقابل له في القديم يكون استعماله اولى . وفي هذا التدرج اللغوي تاريخ لتطوّر الالفاظ وانتقالها بحسب حاجة العصر ومطّ الفاظ اللغة . ولقد عهد اليّ المجمع العلمي بنقل مثل هذه الاصطلاحات من كتب العرب ففعلت ولديّ منها مئات مثل مهندس العمائر لما يعرف عندنا باسم (معمر مهندس) والاحباس (للاوقاف المندرسة) . وصناعة العمائر (لانشاء المراكب) . والغيبانات لما يعرف عندنا (بجسم المعاش) وذلك لمن يغيب بدون عذر مشروع ودار العيار لتصحيح الموازين الخ .

(الصنف الرابع) — ان ما ردّده المتأخرون اذا كان له مرادف يؤدي معناه فالاولى العدول عنه ولاسيما اذا كان مشتركاً بمعانٍ أُخرى فماذا يضر اللغة استعمال (فاوض وكالم) عوض خابر . وترك المخابرة للمزارعة لفهم كتب العرب القديمة او المتأخرة .

وان لم يكن له مرادف فيستعمل منه ما يحمل على القياس . فكلمة (الشرانق) لما ينسجة دود الحرير له مرادفات منها فيلجة وصيلجة جمعها فيالج وصيالج فلنترك (الشرنقة والشرانق) لسلخ الحية ونتخذ الاسمين لنسج الحرير تلك البيوض المشهورة ولنترك (الشاطر) للخبيث ونتخذ عوضها الحاذق وقس عليها .

(الصنف الخامس) — اما الكلمات الدخيلة فما يستطيع الكاتب ايجاد مرادف له يشترك معه ولو ببعض الوجوه فهو اولى مثل وضع المرحوم الشيخ سعيد الشرتوني كلمة القطار لعجلات السكة الحديدية . و (القاطرة) للوكوموتيف . ووضع المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي (المجلة) لما كان من الصحف بشكل كتاب و (الشاري) لقضيب الصاعقة و (الجرثومة) للميكروب و (الانبوبيات) للباشلّس و (الشعرية) للفرشاة و (المحبّب) للغرانت و (الطلاء) للفرنيش و (الحَسَر) لقصر النظر الخ .

ووضع الشيخ المرحوم ابرهيم الحوراني (المجهر) للمكرسكوب و (المرقب) للتلسكوب و (الحوصلة) للكبسول الايطالية الاصل و (البخيري) للمدخنة و (الفوارة) للنوفرة و (المضأّع) للأباجور .

ووضع المجمع العلمي في مصر (مرحى) لبراڤو و (مدره) للافوكاتو و (البهو) للصالون و (القفاز) للكفوف و (النمرة) لنومرو و (الوشاح) للكردون و (الطنف) للبلكون و (الحراقة) للتوربيد و (المربّ) للكاوب .

ووضع احمد زكي باشا (السيارة) للاوتوموبيل وغيرها .

ووضع الاب انستاس الكرملي مئات من الالفاظ مثل المعلمة (للانسكلوبيذية) وفي مقالاته الكثيرة غنيّ .

ووضع احمد تيمور باشا الارندج (للبويا) والطاقة (لباقة الزهور) والدريئة للغرض الذي يرمى عليه تمرناً في الاصابة والجوسق (للكشك) والجلبة (لقشرة الجرح) والوهين (لناظر العمال او مقدم الفعلة) واللفام (لليشمق) والسلاب (لثياب الحزن) والماصر (للحبل الحاجز في الطريق) والطيلسان (للشال) الخ .

ووضع مجمعنا العلمي (الهاتف) للتلفون وقد شاعت اكثر من غيرها كالمسرة والمقول ونشر بقية اوضاعه في هذه المجلة فليراجعها من شاء التوسع ·

واذا لم يجد الباحث ما يناسب الأعجمي وكان خفيف اللفظ وصيغته تناسب الصيغ العربية فلا بأس بابقائه على اصله ·

(الصنف السادس) — وهكذا القول في الأساليب والتراكيب الأعجمية فاذا كان لها ما يقابلها في اللغة الفصحى فالاولى استعماله لانه من أساليب العرب ومقررات لغتهم واذا كانت قريبة من مفهومنا ومما ندركه فلا بأس بها فمن تشابيه الفرنج قولهم (زحف القائد بجيشه على العدو متمشياً كالحريقة في الغابة) وقول فرجيل اللاتيني (إن قلب الاميرة مضطرب كخذروف مدار) مما مما ندركه ونألفه فلا بأس به وقد استعمله العرب ولكن قول فكتورهيكو الفرنسي (أجراس كثيرة تقرع كلها كأنها تئن من الموسيقي) وقولهم (جليد المرآة) اي زجاجها مما لا نألفه كثيراً او بالأحرى لا ندركه بالبداهة مثل الاول فهذا يمكن التعبير عنه بما يناسب أذواقنا ·

ومثل قول وشنطن ايرفن الاميركي في كتاب يطوي مطالعه حواشي اوراقه قليلاً ليراجع ما استحسنه في صفحاته : (ان كتبه كلها آذان كلاب) وهذا ليس بقريب من فهمنا ايضاً · ومثله قول الانكليز عن براعم الشجر اي أغلفة اوراقها عندما تطبق شتاء (نامت في سريرها الشتائي) مع حسن التشبيه ودقة تمثيله ومنه قولهم في وصف المطالع المكب على كتبه هو (دودة كتب) او (أرضة كتب) ·

وهذا يرجع الى أساليب البيان من استعارة وتشبيه وكناية ولكل في ذلك ذوقه الخاص · فالانكليز يشبهون الاسنان بالدرّ مثلنا ولكنهم لا يستحسنون الفَلَج · ولا يشبهون الجميلة بالشمس والقمر ولكنهم يشبهونها بالنجم · ومن التشابيه المبتذلة عندهم ايضاً ما هو جيّد عندنا مثل جيد الغزال ورمان الثدي وبحر الكف واسد الموقعة واشباه ذلك كثيرة مما يرجع الى الإلفة والذوق ·

(الصنف السابع) — ان الالفاظ العامية أنواع فمنها :

« ما هو فصيح من اصل وضعه » فهذا يبقى على حالته · والآخر يرد الى اصله او يوضع له ما يناسبه ·

« ومنها ما نُقص منه » مثل فلان (أسطا) اي أستاذ و (ماظه) اي لماظه وهي الثُقل و (سنم) الجمل اي سنامه و (بصّة) النار اي بصوتها و (طار) للاإطار ·

«ومنها ماز يد فيه» مثل (إيد) لليد و (كارّو) للكار و (دواية) للدواة و (القرنبيط) للقنبيط · و (نقنطر) لنقطر · و (المخلاية) للمخلاة ·

« ومنها ما هو محرّف » مثل (الصلاحيّة) بمعنى الصلاحيَـة اي مايصلح للشيء · و (طمعية) لطاعية · وفي أسنانه (حَفَر) الحَفْر وهو صفرة تعلوها و (حلَقة) البـاب لحلْقته· واما (حلَقة) فهي جمع حالق نحو كفرة وكافر · و (الحلَف) للحلف بمعنى القسم · و (النَتَن) للنتْن بمعني فساد الشيء وكراهة رائحتـه · و (الحَوَر) للحَوْر بمعنى الشجر المعروف ·

« ومنها ما هو مصحف » و يكثر ذلك بين الذال والدال مثل (احدف) الشيء اي احذفه و (هدا) لهذا و (دي) باللغة المصرية لذي و (خزنة) الفأس ونحوها لخرتهـا وهي ثقبها الذي توضع فيه عصاها ·

« وقد يجتمع التصحيف والابدال » مثل (الضَبْوة) لجراب صغير يوضع به التبغ ونحوه فهي تصحيف (ظبية) وابدالها و (شفشق) لتفتق اذا تكلم بجهالة ·

« ومنها ماهو مبدل » مثل قولهم (تدشا) اي تجشأ و (كمره) ليعرق اي غمنه بمعني القى عليه ثيابه وثقّله كما تقول العامة ايضاً و (يخط) بنومه اي يغط و (دسّ) عوض جسّ و (عجوة) لعجمة الثمرة اي نواتها و (الشرِكّة) لانثى الحجل عوض السُلَكة و (السواد) للسماد اي سرقين الحيوانات وروثهـا المتخذ لانماء النبات · و (فرّم) الولد أسنانه لثرم (فأبدلوا وشدّدوا الراء) اذا ألقاها في اوائل عمره وفصيحها أُغِر و (قرمة) الشجرة لأرومتها و (الهامج) للهامش الخ ·

« ومنها ماهو مشتق من الجامد » مثل (تبغدد) عليه كأنها من بغداد · و (تدمشق) كأنها من دمشق و (خرنق) الولد في حضن أمه كأنها من الخرنق ولد الارنب ·

« ومنها ما هو منحوت من اكثر من لفظة » مثل (ايش بدّك) بمعنى (اي شيء بودّك) و (بركتَر من فلان) اي بركة تطير منه وهو دعاء عليه و (عِمْاَوّل) اي (عام الاول) و (إسّا) اي (للساعة) و (هلّق) اي (هذا الوقت) و (حنبلاس) اي حب الآس ·

« ومنها ما هو منقول عن لغات أعجمية » مثل (بشنوقة) لغطاء الرأس تركيبها (بشلوقة) و يشتقون منها فعلاً فيقولون تبشنق وعندنا الخمار ونحوه لهذا المعنى و (جبا) التركية بمعنى مجاناً و (يرطاش) من كلمتين فارسيتين بمعنى (حجر واحد) ولها عندنا (العتبة) . و (اللستيك) لما يمط . ووضع الشيخ ابرهيم اليازجي المطّاط (للكاوتشوك) بمعناها والكلمتان اوربيتان . و (التلغراف) من كلمتين يونانيتين بمعنى الكتابة عن بعد وقد وضعوا لها (البرق) والفعل (أبرق) . و (الهَبَلة) من العبرانية بمعنى البخار . و (إجر) الحبشية لرجل و (إيد) الحبشية ليد . والبندورة الاسبانية من (بومي دورا) (Pomi - dora) اي تفاح الحبة . و (الطرمبة) ايطاليتها (Tromba) وضع لها ابرهيم اليازجي (المِضخّة) و (الشطرنج) اصلها سنسكريتية (َستورنجا) اي مربع الأجزاء لان الجند في الحرب يؤلف من اربعة أجزاء هي الأفيال والأفراس والمركبات والمشاة .

* * *

هذه عجالة بنت ساعتها أظهرتُ فيها بعض ما عنّ لي بشأن الإقرار والوضع والتعريب وهو باب واسع و بحث لا قرار له .

ولقد عانى مجمعنا الدمشقي في خدمة اللغة عناء كبيراً لتضارب الآراء وعدم توحيد الكلمة وكثرة المترادفات واختلاف الأذواق وحبذا لوعقدت لجان في كل بلاد عربية اللغة والعادات لمفاوضتها بمثل هذه الآراء واستطلاع طلع ما تميل اليه من تعزيز اللغة وتوسيع نطاقها وتجديد شبابها . فاللغات تحتاج مثل الأشجار الى تقضيب وتلقيح وتوليد فاذا حصرت في نطاق ضيق وشدّد عليها الخناق بقيت على حالها من التقصير في التعبير عن المستحدثات .

ومن أفضل ما أختم به كلامي قول المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي في مجلته البيان (١ : ٣٢١) ما نصه : « ولكن حقيقة الكمال في اللغة ان تكون بحيث يمكن ان يُستنبط من نفس أوضاعها الفاظ لما يحدث من المعاني لا ان تكون بحيث تستغني عن المزيد اذ المعاني ابداً تتجدد وليس من المحتمل ان قوماً يضعون الفاظاً لمعان لا توجد ».

وقوله في مجلته الضياء (٨ : ٢٧٧) ما نصه :

واما ان ادخال كلمات أعجمية الى لغتنا يعد دليلاً على ارتقائها ففيه نظر لكنه مما تلجئ اليه الضرورة حيث لا يتيسر وجود لفظ عربي قديم او مُحدث يقوم مقام الأعجمي والا فان ادخال اللفظ الأعجمي مع وجود لفظ عربي بمعناه كاستعمال الأُورطي مثلاً في مكان الأبهر والالبومين مكان الهُلام والكاوتشوك مكان المطّاط والاسيد مكان الحامض وكقول بعضهم اندروميدا مكان المرأة المسلسلة كل ذلك يعد دليلاً على انحطاط اللغة كما لا يخفى على ذي بصيرة » اه .

ولعل توحيد الكلمة في خدمة اللغة على اختلاف الاقطار التي يتكلمون فيها يكون قريباً فنتواطأ الافكار على الأوضاع الصحيحة والتعريب المفيد وليس ذلك بعسير على ارباب النهضة العصرية والحمية العربية ان شاء الله .



حفلة تكريم

حافظ بك ابراهيم

اغتنم مجمعنا العلمي وجود احد اعضائه حافظ بك ابراهيم شاعر النيل في بيروت فدعاه الى دمشق فلبى الدعوة وأقام له المجمع حفلة تكريم كبرى في مقره في المدرسة العادلية وجعل موعد الحفلة مساء يوم ١٧ حزيران سنة ١٩٢٩ ولم يحن الوقت المعين حتى غصت ساحة دار المجمع على رحبها بجمهور المدعوين وكانوا من جميع طبقات الامة يتقدمهم فخامة الشيخ تاج الدين الحسني رئيس الوزراء في الدولة السورية ومعالي الوزراء وطائفة من اعضاء المجلس التأسيسي ومئات غيرهم من اهل الفضل والأدب وعشرات من فضليات السيدات في دمشق في مكان خاص بهن . ثم لم يلبث ان قدم المحتفى به حافظ بك ابراهيم ومعه صديقه شاعر القطرين خليل بك مطران فتبوآ صدر المكان يحيط بهما اعضاء المجمع العلمي . وقبل افتتاح الحفلة قام فخامة رئيس الوزراء وعلّق على صدري الشاعرين وسام الاستحقاق السوري زيادةً في تكريمهما والحفاوة بهما فكان لذلك الوقع الحسن في النفوس . ثم افتتح الحفلة معالي وزير المعارف الاستاذ السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي وألقى الخطبة التالية :

حافظ مفخرة العرب
« وحبيب الشاميين »

يا سيداتي ويا سادتي

اذا رحب اهل هذه الديار بحافظ ابراهيم بك فانما يرحبون بنابغة عظيم في الشعر العربي أخرجه من ثيابه البالية وألبسه من عبقريته ثوباً جميلاً شفافاً يليق ان تظهر به أمة كانت أعظم أمم الارض بحضارتها وآدابها وهي تحرص اليوم ان تستمد ذاك الماضي الباهر مطبوعاً بطابع العصر الحديث .

ليس شاعر النيل من الرجال الذين يحتاجون الى التعريف بهم والترجمة لهم فشعره

كالأمثال السائرة وقصائده يحفظها الرجال والنساء وله من الحرمة في كل قلب مالا يقل عن اعظامنا لأكبر شاعر من شعرائنا في الدهر الغابر ٠

وكل هذا لانه صرّف الشعر منذ نشأته في الاغراض الشريفة صرّفه في رفع مستوى الامة في العلم والعمل فوصف داءها ودواءها وهزّ بوعظه اوتار قلوبها فكان شاعر الاجتماع غير مدافع لابتداعه طريقة جديدة في تثقيف العقول وتهذيب الملكات فكان بتأثير شعره مرشد أمته ولسانها الناطق بالحق ٠

ومها بالغنا معاشر الشاميين بالحفاوة بشاعر النيل فاننا نرد عليه الآن واحداً من مئة مما أسداه الينا خاصة وللأمة العربية عامة ٠ هو خلّد أعمال الشاميين بشعره الخالد فلا عجب اذا احتفلت به عاصمة الأمويين اليوم بجميع طبقاتها فانه السابق الى الفضل والاحسان ٠

وان منبر المجمع العلمي العربي ليفاخر منذ تأسيسه بان اسم حافظ ذكر عليه عشرات من المرات وأنشدت قصائده ورقائقه وحكمه واستشهد الحاضرون بشعره وكانت آخر محاضرة في تحليل روحه السامي وشعره الاجتماعي مما القاه هذا العاجز في السنة الماضية وقد قلت في جملتها :

« وعشق حافظ الشام ايضاً ولم يطوّف ارجاءها ولا رأى ارضها وسماءها وعاشر الشاميين وحنا عليهم وذكرهم بالاعجاب في شعره السائر يهز بإقدامهم نفوس الخاملين من المصريين ليحذوا في الكسب حذوهم و يضربوا في الآفاق على مثالهم ٠

ومن شعره في غلاء الاسعار يذكرهم بالشاميين و يقرع المصريين :

ايها المصلحون أصلحتم الار	ض وبتم عن النفوس نياما
اصلحوا انفساً اضرّ بها الفقـ	ـر واحيا بموتها الآثاما
ليس في طوقها الرحيل ولا الجـ	ـد ولا ان تواصل الاقداما
تؤثر الموت في ربى النيل جوعاً	وترى العار ان تعاف المقاما
ورجال الشآم في كرة الار	ض يبارون في المسير الغماما
ركبوا البحر جاوزوا القطب فاتوا	موقع النيرين خاضوا الظلاما
يمتطون الخطوب في طلب العيـ	ـش و يبرون للنضال السهاما

وبنو مصر في حمى النيل صرعى ··· يرقبون القضاء عاماً فعاما
ايها النيل كيف تمسي عطاشا ··· في بلاد رويت فيها الاناما
يرد الواغل الغريب فيروى ··· وبنوك الكرام تشكو الاواما
ان لين الطباع اورثنا الذ ··· ل واغرى بنا الجفاة الطغاما
ان طيب المناخ جرّ علينا ··· في سبيل الحياة ذاك الزحاما

ومن هذا المعنى ماقاله في قصيدته (الامتان تتصافحان) و يعني بهما الامة المصرية والامة الشامية امتدح فيها ابناء الشام وسيرتهم في اميركا ولاسيما في نشر اللغة العربية :

يارض (كولمب) ابطال غطارفة ··· اسد جياع اذا ما ووثبوا وثبوا
لم يحمهم علم فيها ولا عدد ··· سوى مضاء تحامى ورده النوب
اسطولهم امل في البحر مرتحل ··· وجيشهم عمل في البر مغترب
لهم بكل خضمّ مسرب نهج ··· وفي ذرى كل طود مسلك عجب
لم تبد بارقة في أفق منتجع ··· الا وكان لها بالشام مرتقب
ماعابهم انهم في الارض قد نثروا ··· فالشهب منثورة مذ كانت الشهب
ولم يضرهم سراء في منا كبها ··· فكل حي له في الكون مضطرب
رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا ··· الى المجرة ركباً صاعداً ركبوا
اوقيل في الشمس للراجين منتجع ··· مدوا لها سبباً في الجو وانتدبوا
سعوا الى الكسب محموداً ومافتئت ··· ام اللغات بذاك السعي تكتسب
فأين كان الشآميون كان لها ··· عيش جديد وفضل ليس يحتجب

وفي هذه القصيدة يقول في اتحاد مصر والشام في الجنس اللغة وتشاركهما في الهناء والشقاء :

ركنان للشرق لازالت ربوعهما ··· قلب الهلال عليها خافق يجب
خدران للضاد لم تهتك ستورهما ··· ولا تحول عن مغناهما الادب
امُّ اللغات غداة الفخر أمهما ··· وان سألت عن الآباء فالعرب
اذا المت بوادي النيل نازلة ··· باتت لها راسيات الشام تضطرب

وان دعا في ثرى الاهرام ذو ألم اجابه في ذرى لبنان منتحب
لو اخلص النيل والأردن ودهما تصالحت منهما الامواه والعشب

وقد ختم هذه القصيدة في الصلح بين الاختين بقوله :

هذي يدي عن بني مصر تصافحكم فصافحوها تصافح نفسها العرب
فما الكنانة الا الشام عاج على ربوعها من بنيها سادة نجب
لولا رجال تغالوا في سياستهم منا ومنهم لما لمنا ولا عتبوا
ان يكتبوا لي ذنباً في مودتهم فانما الفخر في الذنب الذي كتبوا

وقال من ابيات :

يضيق على السوري رحب بلاده فيركب للأهوال ما هو راكبه
فما هي الا ان تجشمه النوى وما هو الا ان تشد ركائبه

ووجه كلامه الى مصر كأنه يريد الصلح بين القطرين فقال ابياتاً ثلاثة :

ماذا جنيت وما جناه بنوك أظلمتهم يا مصر ام ظلموك
فبسمت للغرب الطموح واهله ومنحتهم فوق الذي منحوك
وعبست في وجه الشآم وانما قطر الشآم وان عبست اخوك

وقال من قصيدة في تكريم صديقه خليل مطران :

انما الشام والكنانة صنوا ن برغم الخطوب عاشا لزاما
أمكم أمنا وقد أرضعتنا من هداها ونحن نأبى الفطاما

وآخر حسنات حافظ قصيدته الأخيرة التي يقول فيها وهي كسائر شعره كلما كررت حلت :

أبت أمية ان تفنى محامدها على المدى وابى ابناء غسان
فمن غطارفة في جلق نجب ومن غطارفة في ارض حوران
عافوا المذلة في الدنيا فعندهم عز الحياة وعز الموت سيان
لا يصبرون على ضيم يحاوله باغ من الانس او طاغ من الجان
شققت أسواق بيروت فما اخذت عيناي في ساحها حانوت يوناني
فقلت في غبطة لله درهم ليس الفلاح لوان غير يقظان

تيمموا ارض (كولمب) فاشعرت منهم بوطء غريب الدار حيران
سادوا وشادوا وابلوا في منا كبها بلاء مضطلع بالامر معوان
ان ضاق ميدان سبق عن عزائمهم صاحت بهم فأروها الف ميدان
لا يستثيرون ان هموا سوى همم تأبى المقام على ذل واذعان
ولا يبالون ان كانت قبورهم ذرى الشوامخ او أجواف حيتان
في الكون مورقهم في الشام مغرسهم والغرس يزكو نقالاً بين بلدان
ان لم يفوزوا بسلطان يعزهم ففي المهاجر قد عزوا بسلطان
اوضاقت الشام عن برهان قدرتهم ففي المهاجر قد جاؤا ببرهان
انا رأينا كراماً من رجالهم كانوا عليهم لدينا خير عنوان
انى التقينا التقى في كل مجتمع اهل باهل واخوان باخوان
كم في نواحي ربوع النيل من طرف لليازجي وصروف وزيدان
وكم لاحيائهم في الصحف من اثر له المقطم والاهرام ركنان

اما وقد رأينا هذا النموذج الصغير من عطف حافظ على الشاميين أفلا يتصاغر بربكم كل اكرام أمام محامده الكثيرة . الا يغتبط منا كل من غذي زمناً بثمرات روحه ان يرى اليوم شخصه الكريم بين أظهرنا . الا نعتقد كلنا اننا عاجزون عن شكره والى القصور في الحفاوة به لا يسعنا الا عفوه .

يااخي حافظ . اننا نحييك معترفين ببعض أياديك البيض . نحيي في شخص شاعر النيل ابناء النيل الاعزة . نحيي بك مصر المحبوبة والنبوغ المصري . ومتى رجعت بالسلامة الى مطلع شمسك فاقرأ على اهلك وعشيرتك سلام جيرانهم في الشام واذا انساك شيطان الشعر ذلك فالرجاء من رفيقك في رحلتك صديقي شاعر القطرين خليل بك مطران الذي كان طول حياته أحسن صلة وعائد بين المصريين والشاميين لمكان اخلاقه العالية وأدبه الجم ان يعذر قصورنا فهو من أعرف الناس بنا وبهم . هذا والله يمتع الأمة بحياة حافظ ويزيد في هنائه وسعادته .

* * *

ثم تلاه الاستاذ فارس بك الخوري فالقى قصيدة غراء حيا بها شاعر النيل فقال :

ليالي التصابي قد جفاني حبورها ولِلَيْلِ السوداء اسفر نورها
ومن لي بانكار الحقيقة بعدما تجلى على وجهي وفودي نذيرها
فأجنحة البازي تهلّب ريشُها وساقية الآمال جف غديرها
تذكرتُ ايام السرور التي مضت فياليت شعري هل يعود سرورها
وعهد ابنة العنقود يوم سُقيتها وقد شغفت قلبي فتاة تديرها
أهيم بما قد دار بين جفونها ولا تزدهيني كرمة وعصيرها
أبثُّ لها أشجان نفسي كأنها مليكة أسري والفؤاد سريرها
لدن لي مع الاصحاب سهم مسدد وحظيَ من ريم الكناس غريرها
أسفت على عهد الشباب ولم تعد تشير لنفسي مقلة وفتورها
وأدنتني الايام من هوة الونى فأصبح مني قاب قوس شفيرها
وكادت صروف الدهر تطوي صحائفي وهل بعد هذا الطي يرجى نشورها
الى ان تلافاني مطل بوجهه على فضلات في الفؤاد يثيرها
همام على الستين حافظ بأسه يشد على السبعين وهو مزيرها
وليس يضير المرء شيب شعوره ولكنما شيب العزوم يضيرها
فما شائب الأقوام إلا وقورهم وأشيب آساد العرين هصورها
همام له في النائبات مواقف يقصّر عنها كهلها وطريرها
غني عن الدنيا فلا تستفزُّه خزائن ارباب الغنى وأثيرها
واخلق بمن نال الكفاف اذا استوى قليل المجاني عنده وكثيرها

* * *

وقفت أحييه عن المجمع الذي له رتبة فيه قليل نظيرها
ومن لي بتحليق الى اوج فضله واين لهذا همتي وقصورها
فيا ليت لي من شاعر النيل نفحة يُراض بها من قافياتي نفورها

* * *

أحافظ حيَّتك الشآم تحيةً يفوق عبيرَ الروض منها عبيرها

زففت لهـا الشعر النفيس عرائساً بجانبهـا تخفي وتخسف حورها
وألبستها ثوباً من الحمد دونه حدائقها في زهوها وزهورها
وطوّقتها بالحب والعطف ربقةً قلادة أسر لا يفادي اسيرها
وأهديتها وحياً من الشعر منسياً معاجز ماأوحى الى الكون طورها
وأوليتها فخراً على الدهر خالداً يعزُّ بها لبنانهـا وسنيرها
وجئت أيا حرَّ السجية داعياً لوحدة سوريا وهذا ضميرها
قضية احرار يريدون نجحها ألا فاهتفوا يحيا السفير سفيرها

***

دمشق تحيي فيك حراً بشعره تغنت وناحت غيدها وطيورها
وقد طالما اشتاقت لزورة ماجدٍ روت شعره أبهاؤها وخدورها
فكم من فتى بالشام انت سميره وكم من فتاة انت انت سميرها
نثرت على العرب الكرام منازعاً برغم خصوم العرب تنمو بذورها
فاني ارى عند الشبيبة نزوة الى المجد والعليـاء انت مثيرها
ألست الذي إن أنشد النيل شعره تردّده انهارنا وخريرها
تلونا على الخابور من معجزاته فانمش والصحراء خف هجيرها
وجدناه في أرواد مطلعاً على دياجير هاتيك الكهوف ينيرها
وكانت قوافيه على ماء زحلة كما فعلت بالشاربين خمورها
سقيت ربوع النيربين بسلسل من الشعر صافٍ اين منه نميرها
سطرت عليها من جميلك آية حليفة خلد ليس تمحى سطورها

***

هنيئاً لهذي الدار بعث فخارها فأخطلها في عقرها وجريرها
ولو كان شوقي حاضراً احرزت به فرزدقها والكل منهم اميرها
ثلاثة اركان وقى الله شملهم بهم عزّت الفصحى وعزّ عشيرها
فيا شعراء النيل ان قريضكم خزائنه عند الشـآم صدورها
أقمتم لاهل الضاد في مصر دولة أريكتهـا انتم ونحن ثغورها

نقدمكم طوعاً ونعرف حدنا … وما آفة الأقوام الا غرورها

شرعتم لنا نهج الفصاحة لاحباً … وقومتموها فاستقامت امورها

ففي ذمة الله الامام محمد … منار الفتاوى الصائبات ونورها

تخطى الى لب القضايا فدلنا … عليه وقد ألهت سواه قشورها

وسعد ومحمود وصبري وقاسم … وامثالهم ممن أجنّت قبورها

وأحياؤهم رهط التجدد والعلى … تباهي بطون الارض فيهم ظهورها

اولئك خطوا للثقافة أسّها … وشيدت على هذا الاساس قصورها

هم اول البانين والفضل فضلهم … وهم في سماء المكرمات بدورها

***

وحييت في قطر الشآم غطارفاً … هم للاماني النبيلة سورها

يحيون في احياء مصر ضياغماً … تجاوب في أقصى البلاد زئيرها

هم في تلافيف الدحال ليوثها … وهم في تضاعيف السماء صقورها

اذا حملوا ضيماً فان صدورهم … على الضغن والآلام تغلي قدورها

وان صبروا صبر الحكيم على الأذى … فما فاز بالآمال إلا صبورها

لهم عزمات ان تورات هنيهة … فلا بد ان تبدو و يلظي سعيرها

وترجم حقاً ضائعاً لنصابه … وصدق الاماني والاله ظهيرها

***

و ياشاعر القطرين مطران بهمة ال … قريض لديك اليوم يذكي بخورها

لك الحمد أن أبلغت شامك منية … يحن اليها شيخها وصغيرها

توسلت بالترغيب حتى أزرته … وما كان لو لا ان فعلت يزورها

***

ثم نهض على أثره الاستاذ شفيق بك جبري فالقى قصيدة عصماء رحب فيها بالضيف الكريم شاعر النيل فقال :

أنشدتَ شعرك في أفياء لبنان فرحت أغمز وسواسي وشيطاني
بالامس شوقي على أفناننا غَرِد واليوم حافظ ميَّاد بافنان
وبنت مروان توحي من اباطحها وشي القرائح عاشت بنت مروان
جبارة سخرت من كل كارثة أعيت وما فتئت جبارة الشان
لله ظل على اكنافها لجب أعوذ بالظل من قهر وطغيان

***

يا طاوي اليم في دجناء زاحفة على صفيح من الأمواج مرنان
يهفو به الشوق والاجفان تكتمه الى اراهط من فهر وغسان
خلى ضفاف الحمى والنيل وانقلبت به المطي الى اهل وجيران
من عهد عدنان ما أبلى عروبتهم وطء الهزاهز في ابناء عدنان
سر في دمشق ونادم ان نزلت بها عصابة نادمتهم روح حسان (١)
هذا الرحيق وفي اظلاله بردى يجري بروض على الفيحاء ريان
لكن جنة قد أودت مواكبهم فما تعج باربـاع واوطان
خلت دمشق من التيجان وانبسطت أمية في الحمى من غير تيجان
وقفت أنشد في الافنـاء ارسمهم لا الملك ملكي ولا السلطان سلطاني
لم يبق من عبد شمس غير خاطرة أروي مغارسها من ماء أجفاني
أشقى وأنعم في اعطاف هبتها فيها الردى وبها روحي وريحاني
تكاد تومض في جنبي خيالتهم ما كان أبعدهم عني وادناني
يبلي الجديدان ، ما تبلى مناقبهم في النيرين اذا كر الجديدان

***

(١) إشارة الى أبيات حسان :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الاول

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

تحية يا ضفاف النيل طيبة … تجري بها الريح في شيح وحوذان

الشام من ودك الريان في صلة … محبوكة الوشي في قرب وامعان

من عهد عمرو فما رثت ولا بليت … قد أتقنتها الليالي اي إتقان

اذا بكت جنبات النيل من ألم … بكت دمشق بدمع منه هتان

أواصر ببيان العرب محكمة … النيل والشام في الآلام صنوان

هما النجيان في تصوير جرحهما … تصوير جرحهما همس بآذان

أرى رجالاً على الاهرام ديدنهم … حل الأواصر من طي وشيبان

تنكبوا عن صميم العرب واعتصموا … بجبل رمسيس أحداناً باحدان

كأنما مصر الحمراء ما زحفت … الى المقطم في شيب وشبان

ولا استطال لها والدهر يعهده … ظل على النيل او رمح بجلوان

تلك الفصاحات لم تذبل منابتها … تنمو بعود على الاهرام فينان

أعيذها خطرات ملؤها مضض … ان تهدم الشرق اركاناً باركان

آمنت باللغة الممراع مغرسها … فما يزلزل ريب الدهر ايماني

في ذمة الله تبيان يؤيده … كر الليالي بتنزيل وقرآن

تضمنا لغة لم يمح رونقها … زحف السنين بآلام وأشجان

اذا التففنا غصوناً في شدائدنا … فما تطيق الليالي هصر اغصان

لولا قواف بوادي النيل ننشدها … في غوطة الشام او في ارز لبنان

لقطعت بيننا الأرحام واضطربت … بنا الوساوس في وصل وهجران

لكن مصر وان هشت وان عبست … ركن العروبة للقاصي وللداني

يأوي اليها من الهيجاء متّهم … فيستظل بظل العاطف الحاني

فما تجف بضيفان بشاشتها … ولا يحيط الاذى فيها بضيفان

أملت على الشرق من آيات نهضتها … ما أنقذ الشرق من ذل واذعان

أغفى زماناً ولم تنزع به همم … حتى تنبه فيه كل وسنان

في كل ناحية ملك يمزقه … باغ من الانس او طاغ من الجان

فلا الربوع على الأردن هادئة … ولا هدوء على أرباع بغدان

يا حافظ الشعر في ميثاء مخصبة — من البيان سقاها ماء سحبان
هاجت دموعك في عيني مدامعها — لما بكيت وهاج الحزن احزاني
يا وقفة لك في الستين تسألها — « أسوفت اماعدت حرا كفاني »
فاضت بها عاطفات القلب فامتلأت — من روح واقفها روحي وجثماني
هون عليك فما زالت روائعكم — من الشباب على شرخ وريعان
هذي دمشق فغرد في حدائقها — أغرودة الدهر تشجي كل أسوان
واندب أمية في شعر تسيل به — بطاح جلق في ظعن وركبان
الشعر منبهة الأقوام ان غفلوا — عن نهجهم هز منهم كل سهوان
تبني وتهدم في الاحياء دولته — قواعد الملك جل الهادم البـاني
كم ثورة بعثت نيران جاحمه — في أمة سهلة الأقياد مذعان
يطوي القريض اذا هبت عواصفه — ما ليس يطوى باسياف ومران
والشعر وحي فان اعياك جامحه — فما يقاد بالحان وأوزان
يموج بالنفس ان هاجت هوائجه — كما يموج نسيم الصبح بالبان
اذا القوافي خلت من سحر عاطفة — فما تميل بارواح وأبدان

* * *

ولما فرغ شفيق بك جبري من قصيدته نهض الاستاذ خليل بك مطران والقى هذه الابيات :

جزيت عنا الخير يا مجمعاً — رجاله علية اهل الأدب
رئيسه من هو فاذكر له — ما شئته من نسب او حسب
وصحبه في نخب الشرق من — اهل الحجى والعلم اصفى النخب
قد هل من عزمك ما يرتجى — ولاح من فضلك ما يرتقب
جدد لك الخير ولا تئتمد — فانما تبعث مجد العرب

* * *

حاضرة الاسلام في حقبة — تبدو ان تدعى بكبرى الحقب
والت على الدنيا الفتوح التي — تعاقبت واتصلت كالسبب

في كل معنى من معاني العلى مشى بها اليمن وراء الحرب
ان تستعد من عزها مامضى وهي له اهل فهل من عجب

***

صحبت من مصر اخي حافظاً وحافظ أنبل من يصطحب
حتى حججناها فيا لطف ما فيها لقينا من جزاء النصب
جنة عدن طالعتنا بما سر ومرّى وشفى من وصب
فالطائر الغريد في روضها اسكته حيناً تناهي الطرب
ان تستزيدوه ففي قابل يسمع منه كلكم ما احب

* * *

عندها نهض المحتفل به حافظ بك ابراهيم والقى على الجمهور هذين البيتين :

شكرت جميل صنعكمو بدمعي ودمع العين مقياس الشعور
لاول مرة قد ذاق جفني على ما ذاقه دمع السرور

ولم يكد يتمها قراءة حتى تعالى التصفيق من كل جانب ثم اختتمت الحفلة وارفض الجمهور شاكرين معجبين .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

آراء وافكار

اعادة النظر في المذمر

بعد طبع ما طبع حول كتابي (المذمر والسماوة) في الجزء الماضي ص ٣٠٢ قرأنا في مجلة لغة العرب (السنة ٧ ص ٥٦٣) لصاحبها العلامة الكرملي مقالاً للمستشرق (ف . كرنكو) تحت عنوان (إعادة النظر في المذمر) وتعليقاً عليه بقلم الأب الكرملي فأحببنا نشرهما هنا استيفاء للموضوع من جميع جهاته . قال المستشرق الفاضل :

صديقي العلامة

أخاف انك لم تستقص في البحث عند ترجمتك كلمة (buste) بالمذمر فلو كنت سألتني عنهـا قبل معرفتي تعبيرك لكتبت لك : « دمية صدرية » او ان شئت (تصوير صدري) واما براهيني في رد ترجمتك فاني لم اجد لفظ (المذمر) الا في معنى قبيح . كما يظهر من الأبيات التي نقلتهـا من أشعار القدماء وتفاسير أئمة اللغة ، وترى من تفسيرهم ان المذمر عندهم لم يشمل الصدر ومقدم الرأس . والسبب الثالث ان الكلمة الفرنسية تفضل الصدر على سائر الجسم ، وانت تفضل مؤخر الرأس على سواه وفي الختام اقول : اني لست الا احد الطالبين . وانت أعرف مني في هذه الاشياء وقد سبقتني اليها حتى بلغت منها اقصى الغاية ولا أطمع في ان الحقك فيها ابد الدهر .

« تذييل » : اني لم أطالع المعاجم اللغوية عمداً ليكون تذهبي منقولاً عن الآثار القديمة فقط .

قال عتيبة بن مرداس وهو ابن فسوة :

تطالع اهل السوق والباب دونها بمستفلك الذفرى اسيل المذمر

التذمير ان يدخل انسان يده في رحم الناقة ، فيعرف أذكر هو ام أنثى عند ولادتها يعني جنينها والمذمر (بكسر الميم) الذي يفعل ذلك . عن كتاب الاختيارين .

وقال القطران السعدي :

متى ما تذمرها تجدها كريهة اذا احضرت شنعد بلقا حجولها

التذمير ان يمس ذفرى الحوار ولحييه اذا خرج رأسه عند النتاج فيعرف أذكر ام أنثى ، ويقال لذلك الموضع المذمر . (عن المذكور ايضاً)

وقال الكميت :

وقال المذمر للناتجين متى ذمرت قبلي الارجل

المذمر : الذي يدخل يده في رحم الناقة ليعلم ما الجنين . سمي بذلك لان يده تقع على مذمر الجنين والمذمر الذفرى وما يليها .

وقال الجعدي :

وحي ابي بكر ولا حي مثلهم اذا بلغ الامر العماس المذمرا

العماس الذي لا تعرف جهته . بلغ الامر المذمر كما تقول : بلغ الامر المخنق .

وقال الفرزدق :

كيف التعذر بعدما ذمرتم صقباً لمعضلة النتاج نوار

ذمرتم مستم المذمر ، والمذمر مكانان يمسها المذمر ، احدهما ما بين الاذنين فاذا وجده غليظاً تحت يده علم انه ذكر ، وان وجده ليناً علم انها أنثى . والآخر طرف اللحي اذا وجده لطيفاً علم انها أنثى واذا وجده غليظاً علم انه ذكر .

وقال في الجمهرة : وذمر الفصيل : غمز قفاه اذا خرج من رحم أمه ليعرف أذكر هو ام أنثى . وفيها ايضاً : المذمر الفاعل من ذمر والمذمر المفعول . والمذمر القفا .

وقال الكميت :

واني في الحروب مذمر يكم نتاج اليتن ما صفة السليل

المذمر الذي يدخل يده في رحم الناقة لينظر ما الولد .

وقال علقمة بن عبدة :

عمدتم الى شلو تنوذر قبلكم كثير عظام الرأس ضخم المذمر

وفي رواية : كبير عظام الرأس . . .

وقال ابو اللحام التغلبي :

بقص السباع كان حلا فوقه ضخم مذمره شديد الاخمس

المذمر أسفل من الذفرى .

وانظر ايضاً كتاب الابل للأصمعي ص ٧٢ والنقائض في فهارسها ٠

بكنهايم (انكلترة) : المخلص : ف ٠ كرنكو

(لغة العرب) لما وضعنا كلمة « المذمر » ترجمة لكلمة (buste) الافرنجية لم نرد ان نقول : ان العربية وردت بمعنى الافرنجية رأساً برأس لكننا أردنا ان نقول انها أقرب لفظة في لغتنا الى الغريبة ، وكل كلمة سواها بعيد عن المطلوب كل البعد ٠ فقد بينا ان السمارة لا تؤدي المطلوب — بل هيهات — لان اللغو بين اتفقوا اتفاقاً واحداً على انها شخص الرجل اي سواده وهو ما يعرف عندهم بسيلويت كما ذكرنا (راجع لغة العرب ٧ : ٣٢٩) ولا يمكن مخالفة رأي الأقدمين باي وجه كان ٠ واما ما يذكره انا حضرة صديقنا فريتس كرنكو فلا يؤدي المطلوب ٠ لاسباب منهـا : اننا أردنا كلمة واحدة لا كلمتين — ٢ — قوله دميـة صدرية هي صورة الصـدر Figure ou Image) (représentant la Poitrine وكذلك قوله : تصوير صدري ٠ فأين هذا من المطلوب تأديته ٠ فالكلمة الافرنجية تعني الرأس مع أعالي الكتفين ٠ وما عليه الا ان يبحث المعنى في دواوين اللغات الافرنجية على اختلافها ٠

إذن نرى ان احسن لفظة وأقربها الى المطلوب هي (المذمر) لان اللغو بين الاقدمين والشعراء الاولين أرادوا بها (الذفرى وما يليهـا مثل ما بين الاذنين ، وطرف اللحي ، والقفا ، وأسفل من الذفرى) فاذا كان كل ذلك ، كان اقرب ما يكون اليه هو (البست) الافرنجيـة من باب التوسع قليلاً والتساهل ٠ لا من باب وضع اللفظ وضعاً محكماً لما يقابله عند الغربيين ٠ وبعدا هذا لانعود الى هذا البحث ، مهما كتب فيه اه ٠

حول تسمية كتاب النجوم الشارقات

قال صديقنا الاستاذ العلامة السيد مسعود الكواكبي عن كتاب (النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج اليها في علم الميقات) (ج٨ص٧٦٥) انه ليس فيه مما يختص بعلم الميقات شيء بل جله في معالجة بعض الصباغات والدهانات والمعادن فلعل تسميته (في عمل الليقات) كما وردت في محاضرة للزميل الاستاذ المعلوف اصح ·

اقول يظهر ان الاستاذ لم يتصفح جميع ابواب الكتاب ولو تصفحه لوجد فيه عدة ابواب مثل الباب الاول والباب الرابع والخامس والعاشر والحادي عشر والثالث عشر والرابع والعشرين فكلها لها دخل عظيم في علم الميقات لان كتب هذا العلم تكتب كما رأيناه في عدة كتب مخطوطة بالمدادات الملونة والباب الرابع والعشرون الذي هو في معرفة مايحتاج اليه في دوائر المعدل ودوائر العروض والأكر وكرسيها والمقورات الخ له دخل كبير في هذا العلم ولذلك قلت في خاتمة الطبع ، يغلب على الظن ان الصواب ما هو مذكور هنا وان المؤلف سماه باهم ابواب الكتاب ·

وبعد طبعي للكتاب ظفرت بورقة منه عند بعض الاصدقاء فيها الصفحة الاولى والتاسعة عشر والعشرون وقد كتب على ظهرها (النجوم الشارقات في الصنائع المحتاج اليها في بعض الأوقات) وقال في اول الخطبة قال الشيخ الامام العالم العلامة الخ ابو عبد الله محمد بن ابي الخير الحسيني الأرميوني المالكي · ثم قال وبعد فيقول الراجي عفو ربه من الذنوب والزلات محمد بن ابي الخير الأرميوني يسرالله له الخيرات اني استخرت الله في وضع فوائد لابد منها لمن أراد التوصل الى فن الوصفيات وسميتها (بالنجوم الشارقات في بعض الصنائع المحتاج اليها في بعض الاوقات) ورتبتها على خمسة وعشرين باباً الخ ·

وكتب لي علامة فاس والديار المغربية الشيخ محمد عبد الحي الكتاني مانصه : اني ظفرت بنسخة منه في الجزائر عنوانها هكذا : (النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج اليها في بعض الاوقات) لابي عبد الله محمد بن ابي الخير الأرميوني الحسني المالكي ولا شك ان المحتاج اليها في بعض الاوقات أحسن وأنسب من العنوان الذي رتبتم ·

فتكون النسخة التي ظفر بها الاستاذ موافقة في التسمية للنسخة التي ظفرت بورقة منها عند بعض الاصدقاء .

ثم بينما كنت أتصفح الكتاب الذي وضعه الدكتور داود چلبي في المخطوطات النادرة الموجودة في مكاتب الموصل رأيته ذكر في جملة الكتب التي هي في خزانته مجموعة فيها (١) النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج اليها في علم الميقات لمحمد بن ابي الخير الحسني قال احمد زكي باشا البحاثة المصري ان مؤلف هذا الكتاب ابو عبد الله محمد بن ابي الخير الحسني الأرميوني نسبة الى قرية قريبة من كفر الشيخ في مديرية الغربية في مصر وقال ان من هذا الكتاب نسخة في الخزانة الزكية عني هو بتصحيحها ومقابلتها على نسختين احداهما في المكتبة المصرية في القاهرة وهنا أطال الدكتور الكلام على هذا الكتاب فتكون هذه النسخ الاربع حسب الظاهر حيث ان الدكتور لم يذكر فيها اختلافاً في التسمية موافقة للتسمية المذكورة في النسخة الخطية التي ظفرت بها وطبعت عليها الكتاب فتلخص من مجموع ما بيناه ان لهذا الكتاب اسمين (الاول) ما أثبتناه في الطبع . (الثاني) (النجوم الشارقات في الصنائع المحتاج اليها في بعض الاوقات) فيكون قول الصديق الاستاذ الكواكبي فلعل تسميته (في عمل الميقات) كما وردت في محاضرة الاستاذ المعلوف اصح ، بعيداً عن الصحة والصواب .

عضو المجمع العلمي
محمد راغب الطباخ

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

مطبوعات حديثة

قرآن فرنسا

« تأليف السيد جان ميليا ص ٣١ طبع باريز »

اسم هـذه الكراسة بالافرنسية (Le Coran Pour la France Par Jean Mélia) خاض فيها الكاتب في أبحاث مهمة في القرآن وقال ان الواجب ان يطرح بعد الآن ما ادعاه بعض المتفلسفين من الفرنسيين في القرآن ، فالقرآن يجب ان يتلى بتؤدة فليس فيه ما يتهمه به الاعداء من انه ملقن التعصب وقال ان الاسلام دين سماوي وهو دين حب وعاطفة وشرف وانه ليس في الأديان دين اكثر تساهلاً منه الى غير ذلك من المباحث التي خدم بها أمته اولاً والامة الاسلاميـة ثانياً فاستحق كل الثناء على بعد غوره وسعة علمه واطلاعه واتساع محيط عقله وحريته . م . ك

لدى نصارى الشرق

Chez les chrétiens d'Orient

« تأليف السيد جان ميليا طبع سنة ١٩٢٩ في مطبعة شار بانتيه في باريز »

« ص ٢١٥ »

شرح المؤلف في هذه الصفحات باللغة الافرنسية ما قامت به الارساليات الكاثوليكية اللاتينية في الشرق من نشر النصرانية وخدمة اللغة الافرنسية والمناحي الافرنسية وذلك بما أسسته من المدارس والمعابد والمستشفيات والميـاتم وغير ذلك وقد امتدح من ملوك الآباء البيض واللعازاريين اكثر من امتداحه من اليسوعيين لان هؤلاء يتدخلون في امور ليست من شأن رجال الدين وان كان جميع هؤلاء الدعاة نمطاً واحداً في بعد الهمة والتفاني في خدمة الغرض الذي ندبوا أنفسهم اليه . م . ك

مصطفى كمال
[او تجدد تركيا]

Jean Mélia : Mustapha Kémal, ou la rénovation de la Turquie,

« تأليف السيد جان ميليا طبع في مطبعة شار بانتيه بباريز سنة ١٩٢٩ »
« ص ٢٤٠ »

كتاب كتبه مؤلفه بالافرنسية وهو من رجال الصحافة المعروفين وصف فيه نشأة مصطفى كمال باشا رئيس جمهورية تركيا ومجدد حياتها السياسية والاجتماعية وما قام به من الاعمال الحربية في الاناضول حتى جمع فلول أمته وألف منها أمة قوية قضت على الطامعين فيها الى ان نادت تركيا بالجمهورية ثم التفت الى اصلاح المسائل الاجتماعية فرفع حجاب النساء واستعاض عن الطربوش بالقبعة وطبق القانون المدني وجعل الدين في الجوامع ولم يبق له اثراً في السياسية والمدارس وقبل الحروف اللاتينية بدل العربية الى غير ذلك من اصلاحاته التي أورثت تركيا روحاً وطنياً بهذا التجدد ، ثم ذكر علائق تركيا مع فرنسا منذ القديم ورأى ان تكونا على الدهر متصافيتين . م ، ك

حديث ذي القرنين

« عني بنشره السيد اميليو غرسيه غومز المعيد بجامعة مجريط طبع بمطبعة »
« مائستري في مدينة مجريط سنة ١٩٢٩ ص ٧٢ النص العربي مع ترجمته »
« بالاسبانية ومقدمة له مطولة »

قال الناشر انه وجد هذا الحديث في مخطوطة مغربية وهو كبعض الكتب التي نقل الفائدة من نشرها لانها لا توجد اصلاً من الاصول العلمية او الدينية . واذا كان المقصد ان في الاسلام مثل هذه الحكايات و يريد ارباب الغايات ان يحملوه اياها ليحملوا عليه فان اهل الفريق الآخر يجيبونهم بان في خزائنكم من أمثال هذه الاسفار مئات . وكان على الناشر ان يعنى باحياء كتب ورسائل أخرى للعرب بأخذها من خزائني

الاسكور بال ومجريط في بلاده وبذلك كان خدم اللغة والعلم وقلل من الخرافات التي تغلغلت في احشاء أمته اكثر من كل أمة اوربية ·
م · ك

الاستقصا

« لاخبار دول المغرب الاقصى »

نقله الى الفرنسية السادة كرول واسماعيل حامد وكولين ، ثلاثة اجزاء انتهت بسنة ٦٣٦ (١٢٣٨م) طبع بباريز ، على نفقة ديوان المسائل الوطنية والاستخبارات في مراكش

نشر الاصل العربي من هذا الكتاب في القاهرة منذ سنين وهو تأليف احمد بن خالد الناصري السلاوي انتهى بحوادثه الى آخر القرن الماضي وهو أهم مصدر في تاريخ الغرب الاقصى يصح ان يقال فيه جمع فاوعى ، وقد شرع بترجمته الى الفرنسية بنظارة صديقنا الاستاذ السيد ميشو بلمير احد اعضاء المجمع العلمي العربي · والتزم المترجمون مراعاة الاصل في الترجمة ليقف القارئ على روح المؤلف ومقاصده · وقد أتبع كل جزء بفهارس نافعة · وحبذا لو عاد الناشرون الى طبع الاصل العربي طبعة علمية مخدومة بالتصحيح الجيد كما فعل غيرهم من علماء المشرقيات في فرنسا وطبعوا مثلاً نزهة الحادي وتاريخ المسعودي والاعتبار لابن منقذ اصلاً وترجمة وكذلك فعلوا بكثير مما رأوا في نشره فائدة للعلم وعسام فاعلين ·
م · ك

اشعة خاصة بنور الاسلام

« تأليف السيد ناصر الدين دينيه وتعريب الاستاذ راشد رستم طبعت »
« في المطبعة السلفية بمصر (ص ٥٦)

هي محاضرة القاها في جمعية الاخوة الاسلامية بباريز السيد دينيه وهو مصور افرنسي مشهور دان بالاسلام منذ أمد بعيد وأعلنه مؤخراً وله عدة تآليف في الدفاع عن الاسلام واهله دفاع الباحث عن الحقيقة · وقد عالج في محاضرته هذه عدة مسائل

مهمة ينال بها المخالفون من الاسلام ، مثل مسائل العلم والخمر والوسيلة والاله والزواج والصلاة الخ ، وبين محامد الدين الحنيف ، وعارضها بما يقابلها ، وقال ان الاسلام يطبع اهله بطابع خاص ، و « آثاره لا تزال باقية في اهل اسبانيا وان كانوا قد ارتدوا عنه منذ خمسة قرون » و « ان القرآن حقق معجزة لا تستطيع اعظم الجوامع العلمية ان تقوم بها ذلك انه مكن اللغة العربية في الارض بحيث لو عاد احد اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الينا اليوم لكان ميسوراً له ان يتفاهم تمام التفاهم مع المتعلمين من اهل اللغة العربية بل لما وجد صعوبة تذكر للتخاطب مع الشعوب الناطقة بالضاد . وهذا عكس ما يجده مثلاً احد معاصري رابليه من اهل القرن الخامس عشر الذي هو أقرب الينا من عصر القرآن من الصعوبة في مخاطبة العديد الاكبر من فرنسيي اليوم » .

وختم محاضرته بقوله والعقل رائده « ثم نوجه صريح القول الى إخواننا المسيحيين ان يكفوا عن مناهضة المسلمين اذ هم لا يجنون من وراء ذلك شيئاً طيباً ، كما اننا ندعو عقلاء الفريقين ان يحترم بعضهم بعضاً وان يتقربوا ويتعاونوا في سبيل الأخلاق ومحاربة المادية ومناهضة الالحاد . انهم ان يفعلوا ذلك يحسنوا صنعاً ويخدموا الانسانية المعذبة التي هي في اشد الحاجة الى الأخلاق والفضائل » . م . ك

جزيرة رودس

« تأليف حبيب غزالة بك طبعت بمطبعة الاعتماد بمصر »

« ص ٩١ »

أفرد المؤلف هذه الجزيرة بالتأليف ولم يغفل عن الاتيان بخلاصة تاريخية عن أشهر جزائر بحر ايجه او الارخبيل فتكلم على طبيعة تلك الجزر وتاريخها ونقودها وكل ما له مساس بها لجلاها لمن لا يعرفها وحلى الكتاب برسوم جميلة فزادت فائدة هذا المختصر الذي نم عن فضل المؤلف واعتياده التحقيق والتدقيق . م . ك
